

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

ميدان: لغة وأدب عربي

فرع: دراسات لغوية

تخصص: لسانيات عامة



كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

رقم: 125076403

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي

إعداد الطالب: سليمان السبع

تحت عنوان

مظاهر إعجاز لغة القرآن الكريم في فكر فاضل صالح
السامرائي كتابه "التعبير القرآني" أنموذجا
- دراسة وصفية تحليلية -

تاريخ المناقشة: 2017/05/17

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	د/ جلول دقي
مشرفا ومقررا	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	أ / إبراهيم صالح
مناقشا	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	د/ محمد بوعلاوي

السنة الجامعية: 1437-1438هـ / 2016-2017م

قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا

الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ

يَتَذَكَّرُونَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ

ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

الزمر: 27- 28

الإهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطلاعتك.. ولا

تطيب

اللحظات إلا بذكرك.. ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك.. ولا تطيب الجنة

إلا برويتك...

الله جل جلاله

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة.. ونصح الأمة..

إلى نبي الرحمة ونور العالمين...

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلي التي رأني قلبها قبل عينيها... وحضنتني أحشائها قبل يديها...

والدتي، حنانا واسترضاء..

إلى النهر الذي ما زلت استقي منه مكارم الأخلاق...

والدي، برا ووفاء..

إلى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي... إخواني وأخواتي.

إلى زهور إخواني وأخواتي "دعاء، أنفال، محمد، عبد الرحمان، مريم، شعيب، ريان،

إسراء، محمد، أحمد زكريا، وليد، أنفال، بشرى"

إلى من أحمل اسمهم بكل فخر... عائلتي.

إلى من ضاقت السطور من ذكرهم فوسعهم قلبي... أصدقائي.

إلى من أنسني في دراستي وشاركني همومي تذكراً

وتقديراً.

إلى من كان سندي... إلى عبد الله.

إلى من علمني حرفاً صرت له عبداً... إلى جميع أساتذتي.

إلى... كل من لم يحضرنى ذكره، أو سما عنه القلم.

أهدي جهدي المتواضع هذا.

سليمان

مقدمہ

الحمد لله ولي النعم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ،
و الصلاة والسلام على معلمنا سيد البلغاء ، و إمام الفصحاء ، سيدنا محمد
المصطفى و على آله و أصحابه أجمعين .

لقد نشأت علوم العربية في أحضان القرآن الكريم خدمة له ، و تقربا
لفهمه و لصون للسانه، فكان هو الباعث الأول على تطورها و تفرغها ، و المصدر
العذب الذي لا ينضب، لا تزيغ به الأهواء و لا تلتبس به الألسن و لا يتشبع منه
العلماء ، و لا تتقضي عجائبه معجزة في نظمه ، معجزة في مضمونه ،
معجزة في تراكيبه ، معجزة في ألفاظه ، بل معجزة في أصواته ،
و حروفه المقطعة، يفتح كل حين و أن على كل جديد لمن يديم قراءته.

و لا يزال كتاب الله تعالى منذ القديم محط أنظار الباحثين و العلماء و نبع
معارفهم على اختلاف تخصصهم الذين وجدوا فيه ضالتهم ، و يسعى الباحثون
إلى محاولة الوقوف عند خصائصه التي كان بها معجزة خالدة في الجانب اللغوي
الذي عجز أهل الفصاحة و البلاغة من العرب الأقحاح حين نزوله أن يأتوا بمثله ، وكان
الكلام صناعتهم و سيد عملهم، فتحداهم منزل الكتاب عز وجل بأن يأتوا
بسورة من مثله فضلا على أن يأتوا مثله كله متناسقا مترابطا يتمم بعضه
بعضا في نسيج لغوي بديع ، بل شهدوا حين أنزل و بشهادة أفصحهم أنه
فوق مستواهم اللغوي و البياني ، و تحقق قوله سبحانه و تعالى ﴿قُلْ لَئِن
اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْحِيُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَآيَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
ظَهِيرًا﴾ الإسراء : 88 .

هذا في جانبه اللغوي ، و إن كان هو الجانب البين في الإعجاز وما يزال القرآن
مورد بحث لمختلف العلوم و ذلك ما نشهده من انكباب الباحثين على اكتشاف أسرار
إعجازه العلمي و التشريعي في مختلف مجالات الحياة الإنسانية .

و أما متعلق هذا البحث فهو الجانب اللغوي من هذا المذهل العظيم في مصدره، المعجز في محتواه ، فمنه خرجت هذه الدراسة الموسومة بـ : (مظاهر إعجاز لغة القرآن الكريم في فكر فاضل صالح السامرائي كتابه "التعبير القرآني" أنموذجا - دراسة وصفية تحليلية) .

و كان اختيار فاضل صالح السامرائي و خاصة كتابه **التعبير القرآني** تمثيلا لرحلته مع القرآن الكريم في عدة كتب قطعها منذ ستينات القرن الماضي مبحرا في عالم اللغة العربية بتخصصه الأكاديمي .

و بما أن لكل عمل دوافعه و أسبابه التي تؤدي إليه فقد كانت دوافع اختيارنا لهذا الموضوع الموضوعية منها و الذاتية ملخصة فيما يلي :

- اشتمالها على النحو و البلاغة و القصة القرآنية و التي قد يتساءل القارئ حول مظاهر إعجازها و تميزها في النص القرآني .

- رغبة مني في تعرف أكثر على أسرار القرآن خاصة و أن مدونة شهادة اللسان كانت في الدراسات القرآنية .

و الحديث عن الإعجاز اللغوي ، يعد موضوعا دقيق المسلك عميق الغور مما جعلنا نختار له كتاب التعبير القرآني للسامرائي لإبراز المظاهر اللغوية المعجزة التي رصدها في كتابه .

أما الإشكالية في هذه المذكرة تستهدف ظاهرة الإعجاز اللغوي في التعبير القرآني ، لا في مفاهيمها الجوهرية ومقولاتها المتعددة بين تحدي الفلسفة والفن ، وإنما في نقلتها النوعية على يد واحد من أبرز العلماء والباحثين في أفاقها الرحبة فاضل صالح السامرائي ، وبالتالي فهذا البحث يتحرك نحو الإجابة عن الأسئلة التالية: كيف بدأت مسألة الإعجاز عند القدماء؟ وكيف تطورت عند المحدثين؟ وكيف تميز السامرائي في هذا المجال؟ وما هي حدود تميزه؟

و كان السبيل للإجابة عن هذه الإشكالية إتباع منهجية تتمثل في مقدمة و فصلين ثم خاتمة ، أما الفصل الأول فتطرقنا فيه إلى الإعجاز اللغوي في الدرس اللغوي العربي، وتنطوي تحت هذا الفصل ثلاث مباحث ، المبحث الأول كان عنوانه : ماهية الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم و المبحث الثاني الإعجاز عند القدماء و في المبحث الثالث الإعجاز عند المحدثين ، أما الفصل الثاني فاختص بمظاهر الإعجاز اللغوي عند فاضل صالح السامرائي تصدره تمهيد حول كتاب التعبير القرآني إذ يحتوي هذا الفصل على ثلاث مباحث : المبحث الأول المنحنى النحوي ، و أما المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى المنحنى البلاغي ، و المبحث الثالث المنحنى القصصي ، و ختمنا البحث بسرد لأهم النتائج المتوصل إليها وملحق تناولنا فيه سيرة السامرائي العلمية و كيف انخرط في مسألة الإعجاز فكرا و دراسة.

ومن أجل الوصول إلى الهدف المنشود ، و تحقيق النتائج المرجوة من هذه المذكرة ، اقتضت طبيعة الموضوع أن يسير وفق منهج وصفي تحليلي كما تخلله في الفصل الأول المنهج التاريخي لرصد أهم العلماء الذين درسوا الإعجاز. وقد تنوعت مصادر و مراجع بين التفسير و الدراسات القرآنية و علوم القرآن وكتب اللغة مما أتيح و توفر بين أيدينا .

ولأنه لا يخلو أي بحث من الصعوبات و العراقيل فقد واجهتنا بعض الصعوبات تتمثل أبرزها في متابعة المكتوب وتجنب التكرار و لعل الصعوبة تمثلت أكثر في الكتب مع اختلاف الطبعات من جهة ، و تشابه العناوين مع اختلاف المؤلفين من جهة أخرى و محاولة الملائمة ما بين الفصلين و المباحث لعدم الخروج عن الموضوع .

و أخيرا يطيب لنا أن نتقدم بشكرنا و تحياتنا الخاصة إلى أستاذنا المشرف " صالح إبراهيم " الذي مد لنا يد العون و النصيحة العلمية طيلة بحثنا فقد كان نعم العون ونعم السند رعاه الله و أطال في عمره .

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر للجنة المناقشة الذين شرفوني بقبول قراءة هذا البحث و مناقشته ، و تصويب فكرته ، وتصحيح أخطائه ، و كذا أساتذة قسم اللغة و الأدب العربي، فلجميع مني الشكر و التقدير ، فجزأهم الله عني كل خير .

السبع سليمان

بوسعادة 05 أفريل 2017



الفصل الأول

الإعجاز اللغوي في الدرس اللغوي العربي

1 -1 ماهية الإعجاز اللغوي في القرآن

الدريه

1 -2 الإعجاز عند القدماء

1 -3 الإعجاز عند المحدثين

1-1- ماهية الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم

تمهيد في مصطلح (المعجزة):

كان من المهم قبل الخوض في تعريف الإعجاز أن ننبه أن مصطلح (المعجزة) ليس له ورود، لا في القرآن ولا في السنة المطهرة، وأن هذا المصطلح حدث في زمن التدوين ومن الممكن أن نلاحظ أن معنى استعمل في القرآن، لكن باصطلاحات أخرى، كاستعمال: كلمة (الآية) في صدد إعطاء الدلائل للرسول عليهم السلام لمحاجات الأقوام، يقول تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلُوبٌ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: 109).

كما استعمل القرآن تارة لفظ (البينة) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى نَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الأعراف: 73)، والبينة هي الدلالة الواضحة عقلية كانت أو حسية.

وتارة يستخدم القرآن لفظ البرهان، قوله تعالى: ﴿اسْأَلْكَ يَدَاكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (القصص: 32) والبرهان بيان الحجة وهو أوكد الأدلة، ويقضي الصدق لا محالة.

كما يأتي التعبير عن المعجزة أحيانا (بالسلطان)، قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (إبراهيم: 10).¹

وبهذا يعلم أن مصطلح (المعجزة) استعملت مضامينه -على تنوعها- في القرآن الكريم لكن بالمسميات المختلفة (الآية، البينة، البرهان، السلطان).

¹ ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن الكريم، دار المسلم، السعودية، 1996م، ص 13.

1- تعريف الإعجاز

لإدراك معنى (الإعجاز) على وجهه، لا بد من الرجوع به إلى مادته اللغوية، وملاحظة الرابط بين هذه المعاني الواردة في أصل اللغة، وبين المعنى الاصطلاحي، وهذا التفصيل:

الإعجاز لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: «العجز/ نقيض الحزم، والعجز الضعف، والمعجزة بفتح الجيم وكسرها: مفعلة من العجر: عدم القدرة، وفي الحديث: كل شيء بقدر حتى العجز والكيس وقيل أراد بالعجز ترك ما يجب فعله بالتسوية»¹.

والإعجاز: مصدر (أعجز)، ومعناه: نسبة العجز إلى الغير وإثباته له، يقال: أعجز الرجل أخاه إذا أثبت عجزه عن الشيء، وأعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه.²

كما ذكر الرازي في مختار الصحاح في مادة (ع ج ز) أن: «العجز، بضم الجيم: مؤخر الشيء، يذكر ويؤنث، والعجز الضعف، وبابه ضرب و (معجزة) بفتح الجيم وكسرها، وفي الحديث "لا تلتثوا بدار المعجزة"، أي لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والعيش... و (أعجزه) الشيء فاتته... والمعجزة واحدة معجزات الأنبياء عليهم السلام»³.

وورد في (أساس البلاغة) للزمخشري في المادة (ع ج ز): « وطلبته، فأعجز وعاجز، إذا سبق فلم يدرك»⁴

وعلى هذا النحو جاءت مادة (ع ج ز) في بقية المعاجم، والمتأمل في هذه التعاريف يجد أنها ترجع كلها إلى معنيين اثنين: أحدهما إلى الضعف، والآخر التأخر، لذلك نجد ابن فارس

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مادة (عجز)، ج4 .

² ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، بغداد، 1974م، ص215/1.

³ أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م، ص 174.

⁴ محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1998م، ص635/1.

لم يشملهما، فقال: (ع ج ز) العين والجيم والزاي، أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف والآخر على مؤخر الشيء.¹

وهذا مناسب لما نحن بصدده من بيان إعجاز القرآن إذ أن العرب لما تحدوا إلى معارضة القرآن أبان القرآن ضعفهم أو أنهم طلبوا ذلك وحاولوه، فأعياهم فصاروا بمنزلة المتأخرين عنه وكلا الأمرين حاصل وصحيح، ولزيادة البيان والتوضيح ننقل إلى التعريف الاصطلاحي.

الإعجاز اصطلاحاً:

اختلفت عبارات أهل العلم في ضبط المصطلح (الإعجاز) من حيث الدقة في التحديد والإلمام بجوانبه المتعددة.

فوجد الشريف الجرجاني يقول: «في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريقة هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق»²

ونجده -التعريف- بلفظه عند المناوي حيث يقول: «الإعجاز في الكلام تأديته بطريقة أبلغ من كل الطرق ما عداه من الطرق»³.

ولعلنا نلاحظ فيما سبق أن التعريفان ركزا على قيمة الوجه البلاغي في إعجاز القرآن رغم اختلاف أهل الشأن في أوجه الإعجاز بين مثبت وناق ومؤيد ومتجاف، وقد صرح بذلك الكفري في (الكليات) فقال: «وإعجاز القرآن، ارتقاؤه في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق

¹ أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، (دت)، ص 232/4.

² الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2005 م، ص 25.

³ عبد الرؤوف المناوي، التوفيق على مهمات التعاريف، تح: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1990، م، ص 56.

البشر ويعجزهم عن معارضته على ما هو الرأي الصحيح، لا الإخبار عن الغيبيات ولا عدم التناقض والاختلاف، ولا الأسلوب الخاص، ولا صرف العقول عن المعارضة...»¹.

فيما مر من نصوص في تعريف الإعجاز: يمثل طائفة من أهل العلم نحت منحى التركيز على وجه من وجوه الإعجاز كالوجه البلاغي مر معنا، أو غيره من الوجوه فيما نحت طائفة أخرى منهم المحدثين إلى شيء من الدقة في ضبط المصطلح، والشمولية في مدلوله، ولنمثل لذلك بما جاء في مناهل العرفان في علوم القرآن للزقاني، إذ يقول: «إعجاز القرآن مرب إضافي، معناه بحسب أصل اللغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو إضافة المصدر لفاعله، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به»².

ولاشك أن هذا التعريف إحاطة بجوانب الإعجاز المتعددة، واستيفاء لنواحيه المختلفة، ما يدفع أن نقول أن نقول انه شمل ما سبق ذكره كما يمكن جعله المعتمد.

2- حقيقة الإعجاز وعناصره:

-حقيقة الإعجاز:

جاء في كتاب الرافعي (إعجاز القرآن): «إنما الإعجاز شئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولة على شدة الإنسان واتصال عنايتهم، واستمرار هذا الضعف على الزمن وتقدمه، فكان العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت»³.

¹ أبو بقاء أيوب بن موسى الكفوي، الكليات، تح: عدلان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998م، ص 149.

² محمد عبط العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد رمزي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط1، 1995م، ص 259 / 2.

³ ينظر: مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005 م، ص 109.

قال السيوطي في تعريف المعجزة: «أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة، وهي إما حسية وأما عقلية، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية، وأكثر معجزات هذه الأمة كانت عقلية»¹.

من خلال هذا التعريف سنقف على أهم ما ورد فيه:

أهتم العلماء بوضع شروط تميز المعجزة ويعرف بها واختلفت هذه الشروط زيادة ونقصا، ويمكن تلخيص هذه الشروط على النحو التالي:

1. أن تكون من الأمور الخارقة.
2. سلامتها من المعارضة.
3. أن تقع على مقتضى من يدعيها.
4. التحدي بها.
5. أن يكون الخارق من صنع الله وانجازه.
6. أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل، أي يجعلها الرسول دليل صدق رسالته، لإثباتها وينسب الأمر إلى الله عز وجل.
7. تأخذ الأمر عن دعوى الرسالة لأنه بمثابة الشاهد.

ولما تحققت هذه الشروط في النص القرآني صح أن يكون معجزة النبي (ص).

وتنقسم المعجزات إلى نوعين: معجزات وقتية -حسية- ومعجزات خالدة باقية بقاء الدهر -عقلية-، لقد جعل الله سبحانه وتعالى معجزة رسوله (ص) من نوع خاص، فهي القرآن الكريم، فقد كانت معجزات الأنبياء السابقين محددة بوقت معين، أما معجزة النبي (ص) خالدة نظرا لأنها موجهة لكافة الناس، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف: 158)، وكونه -القرآن

¹ السيوطي، مختصر الإتقان في علوم القرآن، تح: صلاح الدين ارقدان، دار النفائس، بيروت، ط1، 1985 م، ص 148.

الكريم- المعجزة الخالدة، فمن المعجزة تستنبط أحكام الشريعة فأية تصديق الرسالة في الرسالة نفسها، وليس في معجزات الأنبياء السابقين ما يستنبط منها حكم تشريعي، وهذه ميزة فريدة، ولتكون معجزة النبي الخاتم أشد لمعانا واسطع برهاننا، فقد جعل الله معجزته كتابا متلوا معجزا، وهو الإنسان الأمي لم يخط بيده كتابا ولم يتلق من أحد من البشر معرفة.¹

عناصر الإعجاز:

أعجز العرب الفصحاء وجهابذة اللغة البلغاء، وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله، أو بأقصر سورة منه، بل تحدي الثقلين، إنسا وجنا، أن يأتوا بمثله، فلم ولن يأتوا بمثله أبدا، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ النَّارِ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: 23-24) وكما قال عز وجل: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء: 88) أنزله الله في أوجز لفظ وأفصح أسلوب، فأعيت البلغاء، وأعجزت حكمته و أبكمت فصاحته الخطاب، وهذا القرآن العظيم قد بهر الله به العلماء لما تضمنه من وجوه متعددة في إعجازه، فهو معجز في أسلوبه وألفاظه ولغته وبلاغته، ومعجز بتراكيبه وأساليبه ومعجز في أخبار عن المغيبات ومعجز في أحكامه وتشريعاته، ومعجز بتأثيره في النفوس، يقول القاضي عياض: اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز منطوق على وجوه من الإعجاز كثيرة، وتحصلها من جهة ضبط أنواعها أربعة وجوه:

أ- حسن تأليفه والتمام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة.

ب- صور نظمه العجيب والأسلوب العرب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها، ونثرها الذي جاء عليه.

¹ ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ص ص 15-29.

ج- ما انطوى عليه من الإخبار بالخيبيات وما لم يكن ولم يقع فوجد على ورد على الوجه
أخبر؛

د- ما أنبأ به من أخبار القرون السابقة.¹

إن القرآن الكريم بلغ من ترابط أجزاءه وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره مبلغا لا يدانيه أي كلام آخر مع طول نفسه وتنوع مقاصده، وأن المتأمل في كلمات الجملة الواحدة يجد فيها من التآخي والتناسق ما يجعلها رائعة التجانس، والتجاذب وكذلك جمل الصورة الواحدة فيما من التشابك والترابط ما يجعلها وحدة صغيرة متآخدة الأجزاء ومتعانقة الآيات، وبين سور القرآن من التناسب ما يجعلها كأنما سبيكة واحدة تأخذ بالأبصار وتذهب بالعقول والأفكار.²

3- أشهر مسائل الإعجاز

إن المتأمل في كتب الإعجاز، سواء منها التراثية أو الحديثة، لا يغيب عنه أن أشهر مسائله ثلاث: أوجه الإعجاز، والقول بالصرف، والقدر المعجز.

أوجه الإعجاز

المقصود بأوجه الإعجاز النواحي التي وقع بها تعجيز القرآن الكريم للخلق، أهي بلفظه أم فصاحته؟ أم بما تضمنته هذه الألفاظ من المعاني الفاضلة والإشارات الموحية، أم بأسلوبه الفريد؟ أم بنظمه وصورته الظاهرة؟ أم بما ينجر عن هذه الصور من موجات وأصوات؟ أم سلامته من التناقض والاختلاف، أم هي بجميع ذلك وغيره أيضا مما لم يذكر؟ واختلفوا في ذلك إلى أقوال عديدة، ولعل لهم العذر في ذلك، فكل واحد رجع شيئا منها على غيره، إنما هو لأجل تأمله، وتدبره، وتعقله به أكثر من غيره، وغيره كذلك، فكل من أمعن النظر في

¹ صديق أحمد مالك، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإنسانية، العدد الثالث والعشرون، 2011م، ص ص 13- 14.

² صديق أحمد مالك، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ص ص 13- 14.

واحد من هذه الأوجه المذكورة وتأمله رأى أن فيه العجب العجاب مما لا قبل للعرب والعجم به مع سهولته ويسره، فهو ليس محالاً عليهم، ولكنهم مهما عملوا فلا يصلون إلى درجته، مهما اجتمعوا أو حاولوا ذلك، ولا يمكن أن نقول أن العلماء القائلين بوجه منها ينكرون الوجوه الأخرى أو يبطلونها.¹

وإذا استثنينا الوجه البلاغي في إعجاز القرآن -يكاد يجمع العلماء على أنه المراد- فإن بقية الأوجه أخذت حيزاً لا بأس به من الجدول حول إثباتها أو نفيها، ومسألة أوجه الإعجاز نالت مجالاً واسعاً في مؤلفات من كتب في الموضوع، كونها نقطة محورية لا بد من التعرض لها، حتى عدّ اختلاف أهل الملة في وجه الإعجاز ما هو وجهها من وجوه الإعجاز.²

وقد تناول هذه المسألة بالبسط، الكثير مثلاً الباقلائي خصص فصلاً في كتابه إعجاز القرآن أسماه (فصل: بين الجملة وجوه إعجاز القرآن) ذكر فيه هذه الأوجه على الإجمال وأتبعه بآخر يفصل ما أجمل أولاً (فصل: في شرح ما بيناه من وجوه إعجاز القرآن)³، وكذلك فعل الخطابي في (بيان إعجاز القرآن) والقاضي عياض في (الشفاء) والزرکشي في (البرهان) والسيوطي في (الإتقان)، والغرض هنا التمثيل لا الحصر.

أما الرأي المشهور في الإعجاز البياني، فهو الذي ذهب إليه الجرجاني، وكثير من المتوسمين بالأدب يظنون أنه أول من صنف فيه، ووضع من أجله كتابه المعروف -دلائل الإعجاز- وذلك هم، فإن أول من جود الكلام في هذا المذهب وصنف فيه هو (عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (ت 306 هـ)، ثم أبو عيسى الرماني (ت 382 هـ) ثم يليهم الجرجاني) وهذا الرأي كان السبب في وضع علم البيان.⁴

¹ ينظر: محمد عبد العزيز الحواجي، إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية مع المقارنة مع كتاب إعجاز القرآن للبقلاني مكتبة المنهاج، الرياض، ط1، 1427هـ، ص ص 107-108.

² ينظر: محمد عبد العزيز الحواجي، إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ص 369.

³ ينظر: البلقاني، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، (د.ت) ص ص 72-75.

⁴ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 103.

ومذهب آخر لطائفة من المتأخرين، وهو أن وجه الإعجاز ما تضمنه القرآن من المزايا الظاهرة والبدائع الرائعة، في الفواتح والمقاصد والخواتم في كل سورة وفي مبادئ الآيات وفواصلها، قالوا: والمعول على ثلاث خواص:

1. الفصاحة في ألفاظه.

2. البلاغة في المعاني بالإضافة إلى أنه مضرب كل مثل وساق كل قصة في النواهي والأوامر وأنواع الوعيد والمحاسن المواعظ والأمثال وغيرها مما اشتمل عليه، فإنها مسوقة على أفضل سياق.

3. صور النظم، فإن كل ما ذكره من هذه العلوم مسوق على أتم نظام وأحسنه وأكمله. ومحصل وهذا المذهب أن الإعجاز في القرآن كله لأن القرآن كله معجز... ومعجز لأنه معجز.¹

القول بالصرفة

عدها بعضهم وجها من وجوه الإعجاز إلا أن الكلام عنها في هذا الموضوع جاء بوصفها مسألة منفردة وذلك لاعتبارين:

1. اعتبار قول جماهير أهل العلم في إبطال هذا المعنى وتفنيده، وعلى ذلك لم يبق للصرفة في حمله وجوه الإعجاز مكان.

2. كثرة الخوض في هذه المسألة من حيث إثباتها أو نفيها، أو الاحتجاج لها أو إبطالها.

معنى الصرفة: (أي أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم، لكن عاقهم أمر خارجي، فصار كسائر المعجزات).²

¹ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 104.

² السيوطي، مختصر الإتقان في علوم القرآن، ص 151.

وهو أن التحدي وقع للعرب بأن باتوا بمثل هذا القرآن مع سلب قدرتهم عن ذلك بأن صرفهم الله عما هو في مقدورهم، وهذا للعملاء فيه قولان مشهوران:

1. جمهور العلماء: يرون بطلان هذا القول من أصله وأنه لا يمكن أن ينزل على أسلوب

القرآن الكريم، إذ لا فائدة من التحدي مع وقوع الصرف عنه، ولا فائدة منه في بيان

عظمة بلاغة وفصاحة هذا القرآن، ومن ذلك استدلالهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ

الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾

(الإسراء: 88)، فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة

لاجتماعهم، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى بكبير يحتفل بذكره.¹

2. ومن العلماء والطوائف من يؤيد القول بالصرفه وينصره، يرى أنه هو حقيقة

الإعجاز، لأن القرآن إنما نزل بأساليب العرب وعلى أوجه خطابهم، فلا معنى لترك

العرب المعارضة مع قيام الدواعي الكثيرة لذلك صرف الله لهم عن تلك المعارضة،

كما صرف اليهود عن التمني: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

(البقرة: 95)، وهذا رأي النظام وابن حزم والشريف المرتضى من الشيعة.²

فكيف يصاغ مع هذا أن يقال إن شبيها وراء القرآن -الصرفه- قد أمسك العرب عن القول،

وختم على عقولهم وقلوبهم؟³

القدر المعجز

والمراد بالقدر المعجز هو: القدر من القرآن الذي يقع به التحدي، وتطلب إليه

المعارضة، هو جميع القرآن؟ أم سورة طويلة منه؟ أم أي سورة مهما كان طورها أم كل

جزء تبينت له التراكيب وخصائص الكلم؟ أم غير ذلك؟

¹ عبد العزيز بن محمد العواجي، إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ص 108.

² المرجع نفسه، ص 108.

³ عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، دار الفكر العربي، ط 1، 1974 م، ص 367.

ولعل الأول والأخير لهما أكبر قدر من الأدلة والاستدلال لهما من النصوص أوضح من غيره بلا شك، وهذا يرجعنا إلى قضية تعدد أوجه الإعجاز، فقد نصت الآية: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 23)، والسورة تطلق على الطويلة والقصيرة على السواء، ولا مخصص لأحدها دون الأخرى.¹

وبهذا يتبين أن القدر المعجز من القرآن هو ما يقدر بأقصر سورة منه، وأن القائلين بأن العجز هو كل القرآن لا بعضه، وهم المعتزلة، والقائلين بأن المعجز كل ما يصدق عليه أنه القرآن ولو كان أقل من سورة كل أولئك بمنأى عن الصواب، وهم محجوجون بما بين يديك من الآيات.²

وخلاصة أشهر مسائل علم الإعجاز الثلاثة: الأولى: أوجه الإعجاز؛ ويتعرض فيها لتعدد الأوجه التي صار بها القرآن الكريم معجزاً للثقلين مع اعتماد القوي منها، والثانية القول بالصرفة؛ ولا يكاد يخلو مصدر أو مرجع في إعجاز القرآن إلا ويتطرق لهذه المسألة بالاحتجاج لها وتأبيدها، إن كان من القائلين بها أو بإبطالها وتفنيدها، إن كان من المعارضين لها، والثالثة القدر المعجز، ويتناول أثناء دراستها المقدار من القرآن الكريم الذي يتعلق به الإعجاز.

4- مصطلح الإعجاز اللغوي ومظاهره في نظم القرآن الكريم

إن الناظر في الكم الوافر من الدراسات التي تناولت الإعجاز القرآني، ثمة تفاوت في حجم وعدد الدراسات التي خصصت للجانب اللغوي من الإعجاز، والجانب البياني البلاغي منه، ولعل هذا يرجع في غموض هذين المظهرين:

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص 109.

² عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص 261.

1. التداخل الحاصل في مباحث الميادين، حتى دمجها أغلب من كتب في الموضوع تحت عنوان واحد هو الإعجاز البياني.

2. عدم تطرق بعض الدراسات للإعجاز اللغوي.

وهذا ما جعل ضبط المصطلح ورسم حدود له بالغ الصعوبة.¹

مصطلح الإعجاز اللغوي:

على الرغم من قلة الدراسات حول الإعجاز اللغوي، إلا أن هناك إشارات من الباحثين تهدي لوضع مفهوم منضبط يمكن الركون إليه، فقد أشار الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن) حيث يقول: « من أعجب ما يحقق الإعجاز أن معاني هذا الكتاب الكريم، لو ألبست ألفاظاً أخرى من نفس العربية، ما جاءت من نمطها وسمتها والإبلاغ عن ذات المعنى، إلا في حكم الترجمة، ولو تولى ذلك أبلغ بلغاؤها ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، فقد ضاقت اللغة عنده على سمعتها حتى ليس فيها لمعانيه غير ألفاظه بأعيانها وتركيبها».²

من خلال نص الرافعي نجده يركز على أن سر الإعجاز يكمن في الألفاظ القرآنية، أن تكون بأعيانها، أي أن اللفظ نفسه هو المقصود في السياق القرآني لا غيره، حتى لو كان مرادفاً ما أتم المعنى المراد، وكون هذه الألفاظ مقصودة بتركيبها، لو اختلف مكان مفردة لفسر المعنى وغاب الإعجاز، ومن هنا تظهر أهمية الإعجاز القرآني على وجه العموم والإعجاز اللغوي على وجه الخصوص، وتبرز هذه الأهمية في النقاط الآتية:

1. الإعجاز اللغوي يظهر المعاني الدقيقة والحكم العظيمة لكتاب الله تعالى إذ أن الإعجاز يظهر دقائق المعاني وروعة المباني.

2. قيام الحجة القاطع على أن القرآن هو كلام الله تعالى.

¹ ينظر: العيد حديق، جهود أهل السنة والجماعة في الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل شهادة

الماجستير تخصص اللغة والدراسات القرآنية، 2011 م، ص 34.

² مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 171.

3. الوقوف على مكانة اللغة وأسرارها لأن القرآن نزل بلغة العرب وطرائقهم في التعبير والبيان.

4. إدراك المسلم لعظمة القرآن، فالوقوف على وجوه الإعجاز اللغوي يجعل المسلم يدرك عظمة كتاب الله تعالى وأنه في منزلة السمو والكمال لا يمكن لكلام أن يقرب إلى رتبته.¹

أما حكمت الحريري فيقول: «إن الأداء القرآني يمتاز بالتعبير عن قضايا ومدلولات ضخمة في حيز يستحيل على البشير أن يعبروا فيه عن مثل هذه الأغراض، وذلك بأوسع مدلول وأدق تعبير، وأجمله وأحياء أيضاً، مع التناسق العجيب بين المدلول والعبارة والإيقاع والجو، ومع جمال التعبير دقة الدلالة في آن واحد، بحيث لا يغني لفظ عن لفظ في موضعه، وبحيث لا يحول الجمال عن الدقة ولا الدقة عن الجمال».²

ويقول مناع القطان: «حيث ما قلب الإنسان بحره في القرآن وجد أسرار من الإعجاز اللغوي، يجد ذلك في نظامه الصوتي البديع بجرس حروفه، حين يسمع حركاتها وسكناتها، مدها وغناءها، وفواصلها ومقاطعها، فلا تمل أذنه السماع...، ويجد ذلك في ألفاظه التي تقي بحق كل معنى في موضعه، لا ينبو منها لفظ يقال إنه زائد، ولا يعتبر الباحث على موضع يقول إنه يحتاج إلى إثبات لفظ ناقص».³

ونجد في هذين النصين على أمرين:

الأول: مظهر الإعجاز اللغوي، وهو المفردة القرآنية التي بلغت الإعجاز من ناحية الشكل ومن ناحية المضمون.

¹ ينظر: صديق أحمد مالك، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، ص ص 26-28.

² حكمت الحريري، مظاهر الإعجاز البياني وخصائصه، مجلة البينة، مارس 2004م، ص 1.

³ مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، مصر، ط11، 2000 م، ص 259.

والآخر: أن في الأسلوب القرآني مزاجية بين جمال التعبير ودقة العبارة وهذه خصيصة من خصائص الإعجاز اللغوي.

إن جهود المحدثين في وضع مفهوم للإعجاز اللغوي، جعلت التركيز كبيرا منهم على مظهر محوري من مظاهره، ألا وهو (المفردة القرآنية في تحليلاتها الصوتية المختلفة وعلى ذلك يمكن ضبط مصطلح الإعجاز اللغوي: «هو العلم الذي يهتم بإبراز إعجاز المفردة القرآنية، من حيث شكلها ومضمونها وغايتها»¹.

والمقصود (بشكل المفردة القرآنية) كل ما له علاقة بمظهرها الصوتي من تناسق الحروف في مخارجها وصفاتها، وحركاتها وسكناتها ومدّاتها وغنائها وفواصلها، وكذلك من جانب صيغتها الصرفية والنوعية، ثم بعد ذلك جهة موقعها الإعرابي.

والمقصود (بمضمونها) المعنى الذي تحمله المفردة والذي لا يمكن لمفردة أخرى مرادفة لها أن تؤدي معناها مهما كان التقارب بينهما، والمقصود (بغايتها) أن المفردة القرآنية في النهاية تحقق أمرين: الأول الوفاء بحاجة النفس الإنسانية كونها وازنت بين عقل المخاطب وعاطفته، والثاني أنها أعجزت الثقلين لأنها تحدثهم في إطار محدود لا يعدو أن يكون حرفاً أو صوتاً من جنس ما به ينطقون، ولكنه مع ذلك يحمل دلالات كثيرة يستحيل عليهم مجاراتها فيه.²

مظاهر الإعجاز اللغوي في نظم القرآن الكريم

إن للإعجاز اللغوي عدة مظاهر، وهناك من الدارسين من يسميها أوجه الإعجاز اللغوي، ووقع الاختيار على مصطلح (مظهر) لتناسبه مع الموضوع العام للرسالة.

وسنتناول أربع مظاهر بإيجاز وهي:

1. الخصائص المتعلقة بالأسلوب:

¹ العيد حذيق، جهود أهل السنة والجماعة في الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، ص 37.

² ينظر: العيد حذيق، جهود أهل السنة والجماعة في الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، ص 37.

من مظاهر إعجاز القرآن الكريم في أسلوبه أنه يورد المعنى الواحد بألفاظ مختلفة، وبطرق متعددة بحيث لا يمل منه لسامعه، فالتعبير مثلا عن الأمر أو النهي يأتي بصيغ متنوعة، ومثال ذلك التعبير بصريح الأمر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۗ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: 58).

الإخبار أن الفعل المكتوب عن المكلفين نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 183).

الإخبار عن المكلف بالفعل المطلوب منه، نحو: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة: 228).¹

وفي القرآن الكريم ظاهرة التكرار، وهو نوعان، تكرر بعض الألفاظ أو الجمل، وثانيتها تكرر بعض المعاني كالقصص والأخبار، فالنوع الأول يأتي على وجه التوكيد، وللتكرار أثر بالغ في تحقيق أغراض بلاغية في الكلام، ومن مثاله في القرآن قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (الحاقة: 1-3).

والنوع الثاني هو تكرر بعض القصص والأخبار، ويأتي لتحقيق غرضين هامين: الأول أنها حقائق الدين ومعاني الوعد والوعيد إلى النفوس بالطريقة التي تألفها، والثاني إخراج المعنى الواحد في قوالب مختلفة من الألفاظ والعبارات وبأساليب مختلفة تفصيلا وإجمالا.²

وهكذا نجد أن التعبير القرآني يعدد أساليبه في المعنى الواحد بطرق متعددة بين إنشاء وإخبار، وإظهار وماض وحاضر، ومستقبل، إلى غير ذلك من أساليبه.

2. المفردة القرآنية:

¹ صديق احمد مالك، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، ص ص 30-31

² محمود السيد شيخوان، الإعجاز لنظم القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1978م، ص ص 73-74.

إذا نظرنا إلى المفردة القرآنية؛ نجد أنها تبرز فيها جوانب كثيرة من جوانب الإعجاز، ومن ذلك:

أ- ألفاظ القرآن الكريم عذبة، جزلة، ومنتقاة، يقول الإمام الراغب الأصفهاني: «فألفاظ القرآن لب كلام العرب وزيدته وكرائمه، وعليها اعتمد الفقهاء والحكام في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفرع حذاق الشعراء، والبلغاء في نظمهم ونثرهم»¹.

ب- إن ألفاظ القرآن الكريم دقيقة ومحكمة إحكاما دقيقا، ففي المواضع التي ذكرت فيها لا يوجد أفصح منها في بيانها، يقول الإمام ابن عطية: «كتاب الله لو نزلت منه لفظ ثم ادير لسان العرب أن يوجد أحسن منها لو يوجد»².

3. الجملة القرآنية وصياغتها:

إن دراسة الجملة القرآنية تتصل مباشرة بدراسة المفردة القرآنية لأنها أساس الجملة، ومنها تركيبها، إن صياغة العبارة القرآنية في الطرف الأعلى من البلاغة الذي هو إعجاز في حد ذاته، فمنها: ما تجده من التلاؤم والاتساق الكاملين بين كلماتها، وبين تلاحق حركاتها، وسكناتها، فالجملة في القرآن الكريم نجدها دائما مؤلفة من كلمات وحروف، وأصوات يستريح لتألفها السمع والصوت والنطق، ويتكون من تضامنها نسق جميل ينطوي على إيقاع رائع، ما كان ليتم لو نقص من الجملة كلمة أو حرف، أو اختلف ترتيب ما بينهما بشكل من الأشكال.

ومنها: أنك تجد الجملة القرآنية تدل بأقصر عبارة على أوسع معنى تمام متكامل لا يكاد الإنسان يستطيع التعبير عنه إلا بأسطر وجمل كثيرة، دون أن تجد فيه اختصار مخل أو ضعفا في الدلالة، فمثلا في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: 199). ففي هذه الآية نجد سبحانه وتعالى جمع الله بهذا الكلام كل خلق عظيم،

¹ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د.ت)، ص 4/1.

² ابن عطية، المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط1، 2001 م، ص 52/1.

لأن في (أخذ العفو) صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين، وفي (الأمر بالمعروف) تقوى الله، وصلة الرحم، وصون اللسان عن الكذب، وغض الطرف عن الحرمات، وفي (الإعراض عن الجاهلين) الصبر والحلم وتنزيه النفس عن ممارسة السفهية ومنازعة اللجوج.¹

4. الإعجاز والبلاغة:

وهذا باب واسع ومن أي ناحية تأملت، وتدبرت فيه، أدركت عظمة هذا الكتاب المجيد، وإعجازه، سواء من ناحية التقديم، التأخير، الحذف، الإضافة، أو الإظهار والإضمار، أو الحصر والاختصاص، ونحو ذلك، ونذكر من ذلك على سبيل التمثيل قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل: 6). إن الترتيب يبدأ بالسرّح والجمال في الحالتين (السرّح والإراحة) إلا أنه قدم الإراحة، لأن الجمال في حال مجيئها من المرعي آخر النهار، وهي ممثلة البطون، دارة الضروع، أزهى وأكثر وقعا في النفوس.²

1-2- الإعجاز عند القدماء

سنحاول من خلال هذا المبحث التحدث عن أشهر من تكلم في الإعجاز وجهود العلماء في تناول هذا الموضوع بشكل مختصر.

1- النظام (ت 213 هـ)

أبو اسحاق بن سيمار النظام البحري المعتزلي المتكلم³، من كبار المعتزلة، وقد كان له كلام في تقرير الاعجاز قبل بعضه ورُدّ عليه بعضه الآخر وهو قوله بالصرفة، أي أن الله تعالى صرف العرب عن الإتيان بمثل القرآن ولم يكونوا عاجزين عن الإتيان بمثله لولا أن

¹ ينظر: محمود السيد شيخوان، الإعجاز في نظم القرآن، ص ص 86-87.

² ينظر: صديق أحمد مالك، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، ص ص 29-30.

³ عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1996م، ص 541/10.

الله صرفهم، وبهذا القول مذهب للإعجاز فلا جرم أن خالفه سائر المعتزلة الكبار كالجاحظ، والقاضي عبد الجبار وهو يقول ساقط شاذ، وإن وافقه بعض الكبار.¹

وتدل سيرة النظام على أنه كان على جانب كبير من الذكاء، يروى عن الجاحظ قوله: (كان الأوائل يقولون في كل ألف سنة رجل لا نظير له فإن كان ذلك صحيحا فهو النظام)، لكنه لم يستعمل ذكاه هذا في خدمة الشريعة والبحث فيها لإبراز أسرارها، ولكشف حكمها ومكوناتها، بل كان مسيئا إليها مستخفا بأوامر الدين غير متمسك بالأحكام شديد الجرأة على المحدثين.²

وقد ظهر هذا الرفض -الصرفة- واضحا في قول الرافعي: « فذهب شيطان المتكلمين ... إلى أن الإعجاز كان بالصرفة، وهي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليه، فكان هذا الصرف خارقا للعادة، وكأنه من هذا القبيل هو المعجزة لا القرآن»³.

وهكذا كانت معظم آراء العلماء تذكر قول النظام لأنه يجعل القرآن بيانا عاديا لا يعجز عنه العرب، وفي مقابل هذا المفهوم رأي البعض (نصر حامد أبو زيد) بأنها في الحقيقة أن -هنا الرأي- لا ينكر الإعجاز لا من قريب ولا من بعيد، وإذا توقفنا قليلا عند مفهوم الصرفة وهو المصطلح الذي يشاع بعد ذلك وصفا لتفسير النظام، قلنا أن النظام يجعل المعجزة أمرا واقعا خارج النص، ويرتبط بصفة من صفات قائل النص وهو الله، وانطلاقا من مبدأ التوحيد الذي حرص المعتزلة على تأكيده حرصا شديدا يمكن أن نقول إن تصور النظام والمعتزلة للنص بأنه كلام، وبأنه فعل من أفعال لأدى ذلك للفصل بين الكلام الإلهي والبشري.⁴

¹ محمد بن موسى، جهود العلماء في بيان الإعجاز، المؤتمر العالمي في القرآن وعلومه، مدينة فاس، المملكة المغربية، 14-15-16 أفريل 2011م، ص 1076.

² مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن الكريم، ص 61

³ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 101.

⁴ كمال الدين مرسي وأحمد المصري، دراسات في المجاز القرآني، دار الوفاء الإسكندرية، ط1، (د.ت) ص ص 20-21

وهذا الذي يروون عنه أحد الشطرين من رأيه، أما الشطر الآخر فهو الإعجاز إنما كان من حيث الإخبار عن الغيب وعن الأمور الماضية والآتية¹.

2- الجاحظ (ت255هـ)

ألف أبو عثمان بن بحر الجاحظ، ثلاث كتب في الإعجاز ضاعت كلها هي: (نظم القرآن) و(المسائل في القرآن)، وكتاب جمع فيه آيات من القرآن، كما أسهم بنظرة في غير ذلك من المؤلفات كل (البيان والتبيين) و(حجج النبوة)².

ويعد الجاحظ أول من وضع للمعتزلة الأسس التي تقوم عليها نظرية النظم وأول من حدد معالم المذهب الاعتزالي في إعجاز القرآن، وقد دافع الجاحظ عن بلاغة القرآن وإعجازه³. فالجاحظ يرى أن القرآن معجز بنظمه، لكنه يرى أن الله رفع مستوى الإتيان بمثل القرآن فإن الله صرف أوهام الناس فقال: (ما رفع من أوهام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة لقرآنه بعد أن تحداهم الرسول بنظمه)، وقد يكون استرسل بهذه العبارة لما في نفسه من أثر أستاذه -النظام- وهي شيء ينزل على حكم الملايسة⁴. ويمكن تلخيص نظرة الجاحظ للإعجاز بما يلي:

1. القرآن بليغ من حيث ألفاظه المختارة المنتقاة من حيث نظمه ووصفه، التي تقوم على إبداع في الإيجاز والتشبيه والمجاز، يقول الجاحظ وفي كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنه صدق البديع الذي لا يقدر على مثله العباد.
2. القرآن معجز من حيث الصرفة حيث إن العرب عجز على إتيان بمثل أسلوب القرآن ولهذا فهو يرد عليه في كتاب ونظم القرآن. فأسس نظرية الإعجاز وعمود القول فيه

¹ المرجع نفسه، ص 101.

² الحسن الزروق، جهود الأمة في الإعجاز البياني، المؤتمر العالمي في القرآن وعلومه، ص 1183

³ مسعود الطوير، جهود العلماء العرب واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز القرآني، دار قتيبية، دمشق، 2001م، ط1، ص67.

⁴ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 103

بلاغة أو لا، أما القول بالصرففة فإنما تأتي في المرتبة الثانية فهو دليل يضاف إلى دليل عجز العرب عن محاكاة القرآن في أسلوبه ونظمه.¹

أما عن نظرية النظم فالجاحظ لم يتوسع في شرحها والاستشهاد عليها بأمثلة من القرآن، ومن كلام العرب كما فعل من قالوا بها بعده كعبد القاهر الجرجاني لأنه -أي الجاحظ- كان أول من قال بها وله فضل واضح الأمس التي نشيد عليها أخلافه صروح حججهم.²

3- الرماني (ت386ه)

هو أبو الحسن علي بن حسن الرماني المعتزل والذي ألف كتاب سماه (نكت في إعجاز القرآن فذكر فيه وجوه (المجاز القرآن) وخص من هذه الوجوه (بلاغة القرآن) فذكر طبقات البلاغة ثم أقسامها، وهذا لم يكن على عهد أبي عثمان الجاحظ، وإن كان هذا الباب أيضا مستخرجا من كتب الجاحظ ولاسيما كتاب (البيان والتبيين).³

وجاءت رسالته في إعجاز القرآن في صورة حوار فلسفي يكتسي صيغة كلامية اعترالية، وقد بناها على أن إعجاز القرآن سيعاد من سبعة أوجه:

1. ترك المعارضة مع توفر الدواعي.

2. شدة الحاجة.

3. التحدي للكافة.

4. الصرفة.

5. البلاغة.

6. الأخبار الصادقة عن العيوب.

¹ رضوان الأطرش، دراسة مقارنة لمسلكي النظام والجاحظ في مسألة الصرفة، مجلة جامعة الخليل للبحوث، العدد 1، 2010م، ص 81/5.

² نعيم الحمصي، فكرة الإعجاز القرآني، مؤسسة الرسالة، ط2، 1980م، ص ص 56-57.

³ محمود محمد شاكر المدني، مدخل إعجاز القرآن، السعودية، (د.ت) ص 81.

7. قياسه بكل معجزة.

وقد أفاض الرماني في الحديث عن البلاغة في وجوه الإعجاز القرآني¹ وما يلاحظ على حديث الرماني عن البلاغة باعتبارها الوجه المختار لديه أنه قد تحدث فيها حول المسائل التالية:

أ- التعريف بها:

البلاغة عند الرماني ليس في إفهام المعنى وكفى، لأنه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ، والآخر عيي، وليست البلاغة بتحقيق اللفظ على المعنى، لأنه قد يتحقق اللفظ على المعنى وهو عث مستكره، وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ.² وما يراه أ.د. محمد أبو موسى، أن هذا التعريف ليس تعريفًا للبلاغة وإنما هو تعريف للكلام البليغ، أي الأديب وليس تعريفًا للبلاغة التي هي مسائل وقواعد تعيين على تذوق الكلام ونحت أسرار.³

ب- طبقاتها:

البلاغة عند الرماني ثلاث طبقات، منها ما هو في أعلى الطبقة، ومنها ما هو من أدنى الطبقة، ومنها ما هو في الوسط، بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، ويجعل بلاغة القرآن الكريم في الطبقة العليا، وبلاغة البلغاء في الوسائط، وأدنى وهو كلام عامة الناس.

ج- أقسامها:

وهي عنده عشرة (الإيجاز، التشبيه، الاستعارة، التلاؤم، التجانس، التصريف، التضمين، المبالغة، حسن البيان) ووفق عند كل قسم مبينا ومحللا ومستشهدا من الشواهد القرآنية.⁴

¹ مسعود الطوير، جهود علماء العرب الإسلامي، ص70.

² ينظر: الرماني والخطاب وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في الإعجاز، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمود زغول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، ص ص 75-76.

³ محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، مكتبة وهبية، ط2، 1997م، ص88.

⁴ ينظر: محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، ص ص 75-76.

4- الخطابي (ت 388هـ)

هو أبو سلمان حمد ابن محمد الإمام اللغوي المحدث الفقيه، ألف رسالته (بيان إعجاز القرآن) وقد قسم الخطابي في رسالته الكلام البليغ الفاضل المحمود ثلاث أقسام:

1. البليغ الرصين الجزل، وهو أعلى طبقات الكلام.
2. الفصيح القريب السهل: وهو أوسط طبقات الكلام.
3. الجائر الطلق الرّسل: وهو أدنى وأقرب طبقات الكلام.

وبين أن بلاغات القرآن حازت من كل قسم حصة، فانتظم امتزاج هذه الأوصاف نمط يجمع بين صفتي الفخامة والعدوبة، لأن العدوبة نتاج السهولة، والجزالة والمتانة تعالجان نوعا من الوعورة، فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبو كل واحد منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن.¹

واستبعد الخطابي أن يكون الإعجاز بالصرفة، وأتى بآيات التحديد دليل على إبطال قول الصرفة، فقال: إلا أن دلالة الآية تشهد بخلاف وهي قوله سبحانه: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الاسراء: 88) فأشار في ذلك إلى طريقة التكلف والاجتهاد سبيله والاحتشاد، ومعني في الصرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة.²

ويلخص الخطابي رأيه في الإعجاز القرآني بقوله: "اعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف مضمنا أصح المعاني".³ وتقوم رؤية الخطابي -حسب قوله- على ركيز بين في الإعجاز:

¹ ينظر: الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في الإعجاز، ص 26.

² ينظر: الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في الإعجاز، ص 23.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 27

الأولى التركيز على عناصر ملموسة يمكن الاحتكام إليها، هي: اللفظ والمعنى، وعمود البلاغة في توظيفها وضع كل من الألفاظ في موضعه الذي أبدل مكانه غير ظهر فساد الكلام، أسقوط البلاغة ومن ثم رفض الخطابي الترادف.¹

والأخرى تعليل الفرق بين كلام الله وكلام الناس بكونه مرتبطا بالفرق بين علميهما، فعند وقوفه على قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَهُ الذِّبُّ﴾ (يوسف: 17) لاحظ أن القرآن استعمل الأكل لا الافتراس، لأن الافتراس دال على القتل فقط، بينما الأكل يدل على أنه أتى على جميع أعضائه، فاستعمله إخوة يوسف فرارا من مطالبة أبيهم إياهم.²

وأشار في نهاية كتابه إلى وجه من وجوه الإعجاز، قال أنه انفرد له دون غيره، وهو صنيع القرآن بالقلوب، وتأثيره في النفوس، وضرب أمثلة من الواقع على ما ذهب إليه، كقصة إسلام عمر ابن الخطاب، وتأثره حين سمع سورة طه، وقصة عتبة ابن ربيعة حين سمع آيات من سورة السجدة.³

5- الباقلاني (ت 403هـ)

هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، اشتهر بعلم الكلام على مذهب الحسن الأشعري.⁴

وضع كتابه المشهور في (إعجاز القرآن) وبحث فيه فكرة الإعجاز القرآني بحثا علميا جادا، وظن أنه أغلق به باب الحديث عن الإعجاز، وأنه قال الكلمة الأخيرة التي لا تحتاج بعدها إلى توضيح وتفصيل⁵، فقال: «سألنا سائل أن نذكر جملة من القول جامعة تسقط الشبهات

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص ص 27 - 29.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 41.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص ص 70 - 71.

⁴ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص 190/17.

⁵ ينظر: مسعود طوبر، جهود علماء العرب الإسلامي، ص 78.

وتزيل الشكوك التي تعرج للجهال، وتنتهي على ما يخطر لهم، ويعرض لأفهامهم من الطعن في وجه المعجزة»¹.

وقد ناقش الرأي القائل بالصرفة فقال: «ومما يبطل ما ذكروه من القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزاً، وإنما يكون المنع معجزاً فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه»².

وهو يقصد بذلك أن العرب صرفوا عن الإتيان بمثل القرآن فلم تعجزهم القدرة البيانية وإنما أعجزهم القدر الذي لا يغالب.

ثم حدد الباقلاني وجوه الإعجاز، وذكر منها الإخبار عن الغيوب مما لا يقدر عليه البشر لهم إليهم، ومنها أن النبي (ص) كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ومن ثم فإنه لم يطلع على كتب المتقدمين وأنبأهم وسيرهم، ومع ذلك جاء القرآن يسرد قصص الأمم السالفة، ثم ذكر وجهاً آخر وهو أن بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الحلق عنه³.

ومما يلاحظ في كتاب الباقلاني (إعجاز القرآن) أنه وسع وجوه الإعجاز البياني فجعلها عشرة، بعد أن كانت محصورة في ثلاث أوجه عند الخطابي، كما يلاحظ أن الباقلاني عقد فعلاً في كتابه لنفي وجود السجع في القرآن الكريم، حيث يقول: «ذهب أصحابنا كلهم إلى نفس السجع من القرآن، وذكره أبو الحسن الأشعري في غير وضع من كتبه وذهب كثير ممن يخالفهم إلى إثبات السجع في القرآن، وزعموا أن ذلك مما يدين له فضل الكلام»⁴. ويلاحظ من قوله أنه متمسك بالمذهب الأشعري كما كان يسعى لنصرة مذهبه.

¹ الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص 6.

² المرجع نفسه، ص 30.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 70.

⁴ الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 57.

وقد اشتمل الكتاب الباقلائي على عدة موضوعات بعضها جوهري في الإعجاز كما سبق ذكره، وبعضها بعيد عن قضية الإعجاز لا يتصل بها إلا من سبب بعيد كحديثه عن نقد الشعر وتحليله كثير من القصائد الشعرية، وموازنته بين أسلوب القرآن الكريم وبعض خطب للنبي (ص) وللصحابه ولغيره.¹

6- القاضي عبد الجبار (ت: 415هـ)

هو قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني البحر المتكلم المعتزلي عمر دهرًا طويلًا قارب المئة، وقد كتب القاضي كتابه الكبير (المعنى في أبواب العدل والتوحيد) فعدد جزءًا من أجزائه للكلام في (إعجاز القرآن).²

لقد حدد القاضي عبد الجبار في الجزء السادس عشر من كتابه (المعنى) (الفصاحة) وجهها للإعجاز، والقول بالفصاحة لم يكن رأيًا جديدًا انفرد به، بل تابع فيه شيوخه وهو أمر صرح به في كتابه: «قال شيخنا -أبو هاشم- إنما يكون الكلام فصيحًا لجزالة لفظه وحسن معناه ولا بد من اعتبار الأمرين لأنه كان جزل اللفظ، ركيك المعنى لم يعد فصيحًا، فإذاً يجب أن يكون جامعا لهذين الأمرين». وهذا المفهوم للفصاحة الذي يجمع اللفظ مع المعنى هو المفهوم الذي طرحه الباقلائي، ولكن القاضي عبد الجبار أضاف إلى سابقه بأن اشترط لوقوعها وجهًا للإعجاز أن تقترب - (النظم) فلا غنى لأحدهما عن الآخر.³

فمدار الفصاحة على ثلاث محاور: لفظ، ضم، وطريقة مخصوصة، وكل هذا قائم على اللفظ، لأنه الذي يتصف بصفة ما عند الضم، وهو الذي يضم بعضه إلى بعض، أما المعاني فإنها وإن كان لابد منها فلا تظهر فيها المزية، وإن كان تظهر في الكلام لأجلها، ودليل ذلك عنده أننا نجد المعبرين عن المعنى الواحد يكون أحدهما أفصح من الآخر، والمعنى متفق، وثمة

¹ فضل حسن عباس، إعجاز القرآن المجيد، مراجعة وتعليق، سناء فضل عباس، دار الفرقان، الأردن، 1991م، ص 53.

² ينظر: محمود محمد شاکر، مدخل إعجاز القرآن، ص 88.

³ ينظر: هناء عبد الرضا، دراسات الإعجاز البياني، المؤتمر العالمي في القرآن وعلومه، ص 1226.

سبب آخر اتكأ عليه، وهو أن المعاني لا يقع فيها تزايد، فإن ذلك يجب أن يكون الذي يعتبر التزايد عن الألفاظ الذ تعبر عنها، وقاد ذلك إلى القول بأن المزية إنما أن تظهر بالإبدال وهو خاص بالكلمات أو التقديم والتأخير، وهو خاص بالموقع أو الحركات وهي خاصة بالإعراب، فهذه ثلاث محاور عليها مدار الفصاحة: اختيار الألفاظ، وتقدمها، أو تأخرها في الموقع، وحركاتها الإعرابية.¹

وأما موقفه من الصرفة فقد أبطلها القاضي إبطالا لأنه على هذا القول لأمر به للقرآن وإنما يكون المعجز ما حدث منهم من المنع فكان التحدي يجب أن يقع بذلك المنع لا بالقرآن.² وقد ذكر فضل حسن عباس أن الفصاحة التي قال بها القاضي عبدالجبار لا تخرج عن النظم الذي قال به الخطابي وعبد القاهر الجرجاني.³

7- عبد القاهر الجرجاني (ت: 471 هـ)

شيخ العربية، أبوبكر، عبد القاهر بن عبدالرحمان الجرجاني، كان شافعيًا، عالماً، أشعريًا، ذا نسك ودين، قال عنه السلفي: زكان ورعا قانعا، دخل عليه لص فأخذ ما وجد، وهو ينظر، وهو في الصلاة فما قطعها وكان آية في النحو.⁴

يعتبر الجرجاني صاحب نظرية خاصة في البحث عام وجه إعجاز القرآن، لم يخصص كتاب معين يقصره على البحث في الإعجاز، وإنما ثلاث كتب لها علاقة وثيقة بإعجاز القرآن، وهي: (أسرار البلاغة)، (دلائل الإعجاز)، (الرسالة الشافية)، ولقد عمد عبد القاهر الجرجاني إلى البحث عن البلاغة ووجوهها وأساليبها للارتقاء بالذوق البلاغي عند القارئ، ومن ثم ليضع يده على مواطن البلاغة في كل كلام بليغ، سواء كانت شعرا أو نثرا أو

¹ ينظر: الحسن زروق، جهود في الأمة من الإعجاز البياني، ص ص 1188 1189

² محمد أشرف الدين، تاريخ علوم القرآن ، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1406هـ، ص282.

³ ينظر: فضل حسن عباس ، إعجاز القرآن المجيد، ص 64.

⁴ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص 432/18-433.

خطبة، ويبرز وجه الحسن في الكلام من خلال أمثلة مختارة، وعد ذلك يلتفت من خلال تلك المقدمات والأمثلة إلى إعجاز القرآن الكريم ورأيه في ذلك.¹

ويقرر الجرجاني في نهاية المطاف إلى أن الإعجاز يكمن في النظم، وينفي نفيًا قاطعًا أن يكون فيما يسمى بمتن اللغة مما طريقه المعجم، ولا فيما طريقة الإعراب الذي يرسم صحة التركيب في الكلام، ولا فيما طريقته النغم والإيقاع، لأن الشعر شريكه في ذلك، تحصيل رأيه أن الإعجاز لا يمكن أن يكون فيما هو مشترك بين جميع الناطقين باللغة الواحدة، فما كان بهذه المثابة كانت طريقة الرواية والحفظ، وليس الرواية والفكر الذي يعول عليه كثيرًا في نظرية النظم التي هي محور الإعجاز، والألفاظ التي لا تقيد حتى تؤلف حربًا خاصًا من التأليف، ولا يأتي ذلك إلا للمتمكن القدير الذي يدرك الفروق بين المعاني فيقدر لها وجودها من النظم، وإن هي إلا معاني النحو، وأوضاعه وقوانينه، وهي تتجاوز التركيب المألوف والنمط العادي، وتلك الأوضاع النحوية هي التي تتفاضل بها كلام على كلام، فليس من فضل ولا مزية إلا بحسب الموضوع.²

«واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه، وأصوله، وتعرف مناهج التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها، ذلك أن لا يعلم شيئًا ينظمه الناظم غير أن ينظر من وجوه كل باب وفروقه».³

وتحدث الجرجاني عن الصرفة، وخصص لها فصلاً في رسالته الثانية، وأثبت بطلانها بأدلة منها قوله: «إذا كان عندهم أن كلامهم باق على ما كان عليه في الأصل قبل نزول

¹ ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ص 96.

² محمد خان، القرآن ونظريات الإعجاز، حوليات المخبر، ديسمبر 2013م، ص 23.

³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمد شاکر محمود، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004م، ص

القرآن، وكان كلامهم إذ ذلك في حد المثل المساوي للقرآن، فوجب مع هذا الاعتقاد أن يعتقدوا أن في حملة ما يقولنه في الوقت، ويقدرّون ما شبه القرآن ويوازيه»¹.

8- الزمخشري (ت: 538 هـ)

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي²، لم يؤلف الزمخشري مؤلفا خاصا في الإعجاز، لكنه أراد أن يقدم أدلة الإعجاز وشواهد من آيات القرآن الكريم، وأن يجعل القرآن كله مجالا للنظر في الإعجاز، وقد استعرض في تفسيره (الكشاف) آيات القرآن يكشف فيها إعجاز القرآن وأسراره في المفردات والتراكيب على السواء، فقد حول النظريات التي تحدثت عن الإعجاز إلى صورة مطبقة في آيات القرآن الكريم.³

فقد بنى الزمخشري فكرة الإعجاز على خصائص الكلمات والنظم في التعبير، ويوافق رأي الجرجاني قليلا، فالإعجاز عنده قائم على المعاني من تعريف وتتكير وتقديم وتأخير ثم على ما يتصل بعلم البيان، ويذكر محمد خليل الخطيب في مقدمة حسن الصنع للبسيوني أن الإمام الزمخشري ينبغي أن يعد بعد عبد القاهر الجرجاني في صدر المتواضعين لفن البيان⁴ وقد قسم البلاغة إلى معاني وبيان، إذ ذكر أنه لا يتحدى تفسير القرآن الكريم، وكشف حقائقه إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن؛ وهما: علم المعاني، وعلم البيان، كما أشار في مقدمته إلى إعجاز القرآن الكريم وتحديه الفصحاء العرب وبلغتهم، وعجزهم عن النهوض لمقدار أقصر سورة منه، ووفرة عددهم وشدة حاجتهم إلى المعارضة.

ولقد اهتم الزمخشري في تفسيره بالمباحث البلاغية؛ فتأمل نظم القرآن، وبحث في أسراره وخصائصه، وحتى ترك لنا ثروة عظيمة في البلاغة التطبيقية في مجال القرآن الكريم، وهو

¹ الرماني والخطابي والجرجاني، ثلاث رسائل في الإعجاز، ص ص 147-148.

² الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص 151/20-152.

³ مسعود الطوير، جهود علماء العرب الإسلامي، مسعود ص ص 73-74.

⁴ نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن، ص ص 92-93.

لعد امتداد لعبد القاهر الجرجاني، إذ طبق ما جاء في (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) من قواعد وسار على نهجه في تحليل المسائل البلاغية في كافة المباحث التي عرض إليها خلال تحليله سور القرآن الكريم.¹

وأراء الزمخشري جاءت في تفسيره، ولم يعرف أنه وضع في هذا البحث كتابا خاصا أو أفرد له بابا.²

9- القاضي عياض (ت: 544هـ)

اختار القاضي عياض بن موسى وهو عالم الغرب وإمام أهل الحديث ف وقته، صاحب كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أن الإعجاز الظاهر المحقق إنما هو في الأربعة:

1. حسن تأليفه، والتأم لكمه، وفصاحته، ووجوه إعجازه وبلاغته الخارقة عادات العرب.
2. صور نظمه العجيب الأسلوب، المخالف لأساليب كلام العرب.
3. ما أتى به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة.³

وتبين من رأي القاضي عياض في الإعجاز انه لم يأت بتحديد، وإنما لخص تقريبا رأي الباقلاني وزاد عليه جمع القرآن وعلومه ومعارفها لم يجمعها كتاب قبله على إيجازه، ويعرض لرأي الصرفة أثناء كلامه فلا ينكر هذا القول بل يثبتها مبهما ضعيفا، ويقول: إنه على هذا القول أيضا "معجز".⁴

أما الوجهين الذين يستضعفهما هما:

أ- الروعة التي تلحق قلوب سامعيه والهيبة التي تعثريهم عند تلاوته لقوة حاله وأناقة خطرته.

¹ ينظر: صفاء بنت عثمان عباس فدا، الإعجاز البياني، ص ص 1298-1299.

² نعيم الحمصي، مرجع سابق، ص 94.

³ بن النقيب، مقدمة تفسير بن النقيب في البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، تح: زكريا السعيد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت) ص 519.

⁴ نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن، ص 92.

ب- كونه آية باقية، لا تعدم ما بقيت الدنيا.

أما الأوجه التي عدها بعض القوم ولم يرتضها القاضي عياض فنذكر طرفاً منها:

– أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجّه.

– جمعه بين الدليل والمدلول، ذلك أنه احتج بنظم القرآن وحين رصفه وإيجازه وبلاغته،

فخلل هذه البلاغة بأمره ونهيه ووعدته ووعدته... فالتالي له يفهم موضع الحجة

والتكليف معاً من كلام.

– تيسره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على مستحفظيه.¹

1-3- الإعجاز عند المحدثين

يضم هذا المبحث كوكبة مميزة من العلماء والباحثين الذين نظروا في القرآن الكريم

وكتبوا العشرات من المؤلفات التي تعنى ببيان وجوه الإعجاز القرآني، وسنقف إزاء أشهر من

تحدثوا عن الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

1- الكواكبي في (طبائع الاستبداد) و(سجل مذكرات جمعية أم القرى)

هو عبد الرحمان بن أحمد بن مسعود الكواكبي الذي لقب نفسه في كتابه (أم القرى)

بالسيد الفراتي (1855-1902) كان نقاداً مصلحاً من أعلام النهضة الفكرية والإصلاح

الاجتماعي من أكبر الأدباء السوريين في العصر الحديث.²

له كتابان مشهوران أحدثا دويماً في أبناء جيله، وأثر كبير في اليقظة العربية وفي المسلمين،

ونرى له فيهما كلام في الإعجاز، وهما (طبائع الاستبداد) و(أم القرى).

أ- طبائع الاستبداد:

¹ حسن ضياء الدين عنتر، المعجزة الخالدة، دار البشائر الإسلامية، لبنان، ط3، 1994م، ص ص 190-191.

² ينظر: طبائع الاستبداد، عبد الرحمان الكواكبي، تقديم أسعد السحمراني، دار النفائس، لبنان، ط3، 2006م، ص ص 9-

يرى الكواكبي أن مسألة إعجاز القرآن لم يستطع أن يوفها حقها العلماء غير المجتهدين، الذين اقتصرُوا على ما قاله السلف من إعجازه في فصاحته وبلاغته، وإخباره عن أن الروم بعد غلبهم سيغلبون.

فيقول: « ولو أطلقت للعلماء عناء التدقيق وحرية الرأي والتأليف كما أطلق لأهل التأويل والخرافات، لرأوا في ألوف من آيات الإعجاز، و لرأوا كل يوم آية تتحدد مع الزمان والحدثان تبرهن إعجازه بصدق قوله: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام: 59)، و لجعلوا الأمة تؤمن بإعجازه عن برهان وعيان لا مجرد تسليم وإذعان»¹

بدأ الكواكبي بعد ذلك يستعرض الإعجاز العلمي في القرآن، ويضرب له أمثلة مستخرجا الآيات حيث يقول: « ومثال ذلك أن العلم كشف في هذه القرون الأخيرة حقائق وطبائع كثيرة تعزى لكشفها ومخترعها من علماء أوروبا وأمريكا والمدقق في القرآن يجد أكثرها ورد به التصريح أو التلميح في القرآن منذ ثلاثة عشر قرن»².

ب- سجل مذكرات جمعية أم القرى:

قال: « وكفى القرآن العزيز شرفاً أنه على اختلاف مواضعه من توحيد وتعليم، وإنذار وتبشير وأوامر ونواهي، وقصص وآيات قد مضى عليه ثلاثة عشر قرناً، فيه أفكار الناقدین المعادين، ولم يصفروا فيه ولو بتناقض واحد، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: 82) بل الأمر كما تنبأ إليه المدققون المتأخرون، أنه كلما اكتشف العلم حقيقة وجدها الباحثون مسبوقه التلميح أو التصريح في القرآن، أودع الله ذلك ليتحدد إعجازه، ويقوى الإيمان به، أنه من عند الله لأنه من شأن مخلوق أن يقطع برأي لا يبطله الزمن»³.

¹ حسن ضياء الدين عنتر، المعجزة الخالدة، ص ص 60-61

² حسن ضياء الدين عنتر، المعجزة الخالدة، ص 61.

³ الكواكبي، أم القرى، المطبعة المصرية بالأزهر، 1931م، ص 125.

واضح أن الكواكبي لا ينكر أن إعجاز القرآن ببلاغته وإخباره عن أمور ستحدث في المستقبل، ولكنه يريد من علماء المسلمين أن يتجددوا مع تجدد الزمن في البرهان على الإعجاز، وهذا دعوة في فهم العلوم الحديثة.

2- محمد عبده (رسالة التوحيد)

محمد عبده حسن خير الله (1849-1905)، عالم دين وفقه ومجدد إسلامي مصري، يعد أحد رموز التجديد في الفقه الإسلامي ومن دعاة النهضة والإصلاح في العالم العربي والإسلامي.¹

أودع كلامه في الإعجاز في كتابه (رسالة التوحيد)، فهو يرى أن القرآن معجز لأنه صدر عن نبي أمي حيث يقول: «أليس في ظهور مثل هذا الكتاب على لسان أمي أعظم معجزة وأدل برهان أنه ليس من صنع البشر؟»²

وأنه يخبر عن الغيب: «هذا وقد جاء في الكتاب من أخبار الغيب ما صدقته حوادث الكون، كالخبر في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ (الروم: 2-4) وكان الوعد الصريح في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور: 55) وقد تحقق جميع ذلك، وفي القرآن كثير من مثل هذا يحيط به من يتلوه حق تلاوته»³

ولتقاصر القوى البشرية دون مكانته، فيقول: «يقول واهم: إن العجز حجة على من عجز، فإن العجز هو حجة الاقحام وإلزام الخصم، ويقدر يلتزم الخصم ببعض المسلمات عنده، فيفحم ويعجز عن الجواب فتلزمه الحجة، ولكن ليس ذلك ملزم لغيره، فمن الممكن ألا يسلم غيره لما سلمه، فلا يفحمه الدليل، بل يجد إلى إبطاله أقرب سبيل»، ويقول أيضا: «إذ لا يوجد من

¹ ينظر: الشيخ محمد عبده، الأعمال الكاملة، تح: محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، ط1، 1993م، ص ص 22/1-36.

² ينظر: محمد عبده، رسالة التوحيد، تح: محمد عمارة، دار الشروق بيروت، ط1، 1994م، ص132.

³ المرجع نفسه، ص 133.

المشابهة بين إعجاز القرآن وإقحام الدليل ألا أنه يوجد عند كل منهما عجز، وشتان بين العجزين، وبعدهما بين وجهتي الاستدلال فيهما، فإن إعجاز القرآن برهان على أمر واقعي¹. وإعجاز القرآن يقوم عنده -محمد عبده- على البلاغة، فيقول: «وهو تقاصر البشرية دون مكانته من البلاغة، وقلنا القوى البشرية لأنه جاء بلسان عربي، وقد عرف الكتاب عنه جميع العرب... ومع ذلك لم يكن للعرب أن يعارضوه بشيء من مبلغ عقولهم، فلا يعقل أن فارسيا أو هنديا أو رمانيا يبلغ من قروة البلاغة في العربية، أن يأتي بما عجز عنه العرب أنفسهم، وتقاصر القوى عن ذلك... وامتاز الكثير منهم بالعلم والدراسة دليل قاطع على أن الكلام ليس مما اعتيد صدوره عن البشر»².

فليس في رأي محمد عبده جديد، إنما هو اختصار لرأي الباقلاني³.

3- القاسمي وتفسيره (محاسن التأويل)

هو محمد جمال الدين أبو الفرج المعروف بالقاسمي (1866-1914)⁴، تحدث القاسمي عن الإعجاز، وهو يفسر آيات التحدي وهو عنده في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى، وقد كان من يتحداهم هم عربا فصحاء مثله، وكان في تقاصر قواهم جميعا، ومن جاء بعدهم مع طول الزمن، دليل قاطع على أنه ليس مما أعتيد صدوره عن البشر، بل هو كلام عالم الغيب والشهادة⁵.

أما عن رأيه في الإعجاز وبم كان ووجوهه، فيقول وهذا الوجه اعني بلوغه في الفصاحة والبلاغة إلى حد خرج عن طوق البشر، كاف وحده في الإعجاز، وقد انظم إليه أوجه:

¹ المرجع نفسه، ص 133.

² محمد عبده، رسالة التوحيد، ص ص 133-134.

³ نعيم حمصي، فكرة الإعجاز القرآني، ص 310.

⁴ عبد الرحمان يوسف الجمل، منهج القاسمي في تفسير محاسن التأويل، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الأول، ص 90/11.

⁵ نعيم حمصي، مرجع سابق، ص 309.

منها: إخباره عن أمور مغيبة ظهرت كما أخبر.

ومنها: كونه لا مملة السمع مهما تكرر.

ومنها: جمعه لعلوم لم تكن معهودة عند العرب والعجم.

ومنها: إنبأؤه عن الوقائع الخالية وأحوال الأمم، والحال أن من نزل عليه كان أميا لا يكتب

ولا يقرأ لاستغنائه بالوحي، وليكون وجه الإعجاز بالقبول أخرى.

وبذلك يعلم أن القرآن أعظم المعجزات وسواه عن المعجزات أنقضت وقتها ولم يبق منها إلا

الخبير.

وقد ذهب بعض علماء الشيعة في وجه إعجازه إلى: كونه قاهرا لمن يقاومه، وغالبا على من

يغالبه، وناظرا في إزهاق ما يخافه، كونه مؤثرا في إيجاد الأمة، ويقاء الشريعة، ونفوذ الحكم،

وثبوت الكلمة، لا يجعل الله فيه من النور والهداية والرحمة.

واستشهد القاسمي على بعض وجوه الإعجاز السالفة الذكر في تفسيره فيقول مثلا: ﴿فَإِنْ لَمْ

تَفْعَلُوا﴾ (البقرة: 24) وهي معجزة باهرة، حيث أخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل،

وقد وقع الأمر كذلك.¹

4- الشيخ محمد رشيد رضا في (تفسير المنار)

تلميذ الشيخ محمد عبده، هو السيد محمد رشيد رضا (1865-1935) لبناني من قلمون

طرابلس، أسس مجلة المنار في مصر، وكان ناظر لمدرسة الدعوة والإرشاد الكلية بمصر،

له تفسير واصل به تفسير أستاذه الشيخ محمد عبده، وهو بعنوان (تفسير المنار)، لم يتحدث

في مقدمته عن الإعجاز، وإنما تكلم عليه وهو يفسر آيات التحدي في سورة البقرة.²

¹ ينظر: القاسمي، محاسن التأويل، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب، ط1، 1957م، ص ص 73/2-78.

² ينظر: نعيم حمصي، فكرة إعجاز القرآن، ص ص 313-314.

وهو يرى أن إعجاز القرآن في نفسه، وذلك ببلاغته وكونه جاء على لسان أمي لبث أربعين سنة، لم يوصف خلالها بالبلاغة، وعقد الأستاذ المفسر فصلا في تحقيق وجوه الإعجاز، ونلخص ما قاله بما يلي:

1. إن الإعجاز ثبت بالفعل، ولو وجد من عارض لنقل قوله بالتواتر.
2. إن الإعجاز بأسلوبه ونظمه، وتنوع الأسلوب فيه الذي يختلف عن الأساليب الأربعة المعروفة: النثر المرسل، النثر المسجع، والمنظوم قصيدا والمنظوم رجز، والذوق هو الحكم في الفرق بين كلام الله، وكلام البشر.
3. إن إعجاز القرآن ببلاغته، والذين يدركون هذه البلاغة ليسوا علماء المناطق، بل العلماء الأدباء المتذوقون، كعبد القاهر الجرجاني، الذي تدرك حين تقرأه أن علم البيان عنده شعبية من علم النفس.
4. إن من إعجاز ما فيه الإخبار عن الغيب.
5. إن من إعجازه سلامته من الاختلاف، واستدرك المؤلف أن هذا النوع من الإعجاز إنما يظهر في جملة القرآن في السور الطويلة لا في كل سورة، فإن سلامة السورة القصيرة منه لا يعد أمر معجز يتحدى به.
6. إنه معجز بالعلوم الدينية، والاحكام الموافقة لكل زمان ومكان.
7. إنه معجز بعجز الزمان إبطال شيء منه، أي عدم نقض شيء مما فيه مع تقدم العلوم.
8. إنه معجز بقضايا العلوم العصرية التي سبق القرآن إلى تبيانها، ويضرب على ذلك أمثلة كثيرة ومنها قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَحْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مِنْ نازِلٍ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40)﴾ (يس: 38-40)، ولما كانت هذه الآيات قد وردت ومعها تفسيراتها الموافقة للمعلومات العلمية الحديثة.
9. إن القرآن دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

10. إن التحدي حجة على نبويته، بصرف النظر عن المتحدى به ما هو.¹

ويتبين من هذا أن الإعجاز عنده يقوم على البلاغة والعلم معا.

5- مصطفى صادق الرافعي في (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)

هو الأديب والشاعر والكاتب مصطفى صادق الرافعي (1298هـ - 1324هـ)، كان أبرز من تصدى لطفه حسين في كلامه حول الشعر الجاهلي، له عدة كتب منها (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، كان أصل الكتاب جزءا من كتابه (تاريخ آداب العرب)، ثم نشره بعد ذلك كتاب مستقل.²

عرض في كتابه شتى المذاهب التي قيلت فيه ونقدها - الإعجاز -، كما عرض عليه عدة مسائل تتعلق بهذا البحث وأبدى رأيه فيها، وهو يعالج الموضوع، ويقدم أخيرا رأيه الخاص في الإعجاز، وتتلخص أفكاره في:

1. يعرف الإعجاز فيقول: «وإنما الإعجاز شيآن: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه»³.

2. يعرض لفكرة الصرفة، وبعض الذين قالوا بها، كالنظام، والمرتضى، وابن حزم، والجاحظ، ويرفضها⁴.

3. يتعرض لمذاهب مختلفة، كالقول بإعجاز القرآن من ناحية النظم الغريب المخالف لنظم العرب، ونثرهم في مقاطعه وفواصله ومطالعه، وكالقول بأنه في سلامة الألفاظ مما

¹ ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المنار، 1947م، ط2، ص ص 189/1-219، وينظر: نعيم حمصي، فكرة إعجاز القرآن، ص ص 315-324.

² ينظر: مصطفى مسلم، مباحث إعجاز القرآن، ص 105.

³ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 98.

⁴ المرجع نفسه، ص 101-102.

- يشين اللفظ، والقول بأنه في خوه من التناقض واشتماله المعاني الدقيقة، والقول بأنه اجتماع هذه الأمور كلها، وهو يرفض هذه الآراء جميعها.
4. يذكر مذهب الجرجاني في الإعجاز، وأنه ليس السابق إليه بل تقدمه فيه الواسطي والرماني¹.
5. ثم يذكر مذهبا آخر، يقول: إنه لطائفة من المتأخرين، وهو في الحقيقة مذهب يحيى بن حمزة اليميني صاحب (الطرز) وأضربه، وهو القائل بأن الإعجاز في فصاحة الألفاظ وبلاغة المعاني وحسن النظم²؛
6. ثم يذكر بعض الطاعنين في القرآن حيث يقول: « وقد زعم أن الناس قادرون على مثل هذا القرآن فصاحة ونظما وبلاغة... وذلك زعم يكثر أن يكون جهلا وسحقا من قوم شاهدين على أنفسهم بالكفر »³.
7. يذكر تأليف الجاحظ (كتاب نظم القرآن)، وبذكر نقد الباقلائي له بقوله: « أنه لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله » ، ثم يذكر بعض الكتب التي الفت في الإعجاز كتاب الواسطي الذي أعده أول كتاب، وكتاب الرماني، وكتاب الباقلائي، ثم نقده بما نقده الباقلائي الجاحظ بأنه جمع وحشر من كل قيل، ثم يذكر الرافعي بعد ذلك أن ممن ألفوا في الإعجاز على وجوه مختلفة، من البلاغة والكلام⁴.
8. ويتكلم بعد ذلك على التدرج من آيات التحدي، وأنه كان بالأكثر فالأقل، وجواب المشركين على هذا التحدي يوصف القرآن والرسول بعدة صفات ذكرها القرآن نفسه، ثم يورد قول الجاحظ في كيفية تحدي القرآن للعرب، وما دار في ذلك من جدل⁵.

¹ المرجع نفسه، ص 103.

² نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن، ص 330.

³ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 105.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 106-108.

⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص ص 115 - 120، و نعيم الحمصي، مرجع سابق، ص 331.

9. ثم يذكر بعض الذين عارضوا القرآن للعرب ويذكر بعضاً من أخبارهم وأقوالهم، وهم مسيلمة، الأسود العنسي، وطلحة ابن خويلد وسجاح بنت الحارث، والنضر بن الحارث، ويذكر من اتهموا بالمعارضة: ابن المقفع، ابن سينا، وقابوس ابن شمكير، ابن الراوندي، المتنبّي، والمعري، ويدافع عن بعض هؤلاء ويقف حيادياً من آخرين، ويحمل ابن الروندي.¹

10. يذكر عجز العرب عن مجازة القرآن لأنهم كانوا يدركون في أنفسهم علو كعب القرآن عن تناولهم، وذلك بقوة طبعهم وذوقهم الفني.²

11. ويقدم بعد ذلك رأيه الخاص في سبب الإعجاز، وخالصة رأي الرافعي في هذا الموضوع أن القرآن معجز:

أ- بهذه الموسيقى التي فيه.

ب- بهذه الروح المستشفة من نظم القرآن والتي تخاطب الروح، وهي ليست ألفاظاً ذات معنى فقط، بل هي حياة تضطرم، وهي خلق روحي (ذلك بأن صوت النفس الطبيعي في تركيب لغتهم -العرب-، وإن كان فيها إلى التفاوت كمالاً ونقصاً، وصوت الفكر لا يعجزهم أن يستبينوه في كثير من كلامهم بلغائهم، أما صوت الحس فقد خلت لغتهم من صريحة وانفرد به القرآن، وقد كانوا يحسونه في أنفسهم منذ أن فتتوا في اللغة وأساليبيها، ولكنهم لا يجدون البيان في ألسنتهم)³؛

ج- خلو القرآن من الألفاظ التي تكون كمتكأ، وهذا المتكأ يشاهد في كلام بلغائهم، وهو يرى أن كلمات القرآن كلها ضرورية في تأدية المعنى التي يريدونها. (وإن

¹ ينظر: مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ص 121-130.

² المرجع نفسه، ص 131.

³ المرجع نفسه، ص 153.

من أعجب ما يتحقق الإعجاز أن معنى الكتاب الكريم لو ألبست ألفاظاً أخرى من نفس العربية، ما جاءت في نمطها وسميها والإبلاغ عن ذات المعنى لا في حكم الترجمة، ولو تولى ذلك أبلغ بلغائها¹.

ويحسن الرافي أن يجعل سبب الإعجاز قائماً في الأسباب الثلاثة الأولى، ولو أنها لا تكفي في بيان الإعجاز، لأن كلام المخلوقين لا يخلو من هذه الصفات، لكن الرافي يخطئ إذ يجعل من القرآن موسوعة دينية دنيوية لعلوم الأرض.² كم أن الرافي عقد في كتابه بحثاً بعنوان (القرآن والعلوم) تحدث فيه عن أثر القرآن في العلوم.³

6 - محمد عبد الله دراز في (النبأ العظيم)

هو عالم أديب، ولد بمصر، حصل على الدكتوراه بفرنسا، ونال عضوية العلماء (1894-1950)⁴.

لقد تحدث دراز في كتابه (النبأ العظيم) عن أوجه الإعجاز، وقد جعلها ثلاث أوجه وهي:

1. الإعجاز اللغوي.

2. الإعجاز العملي.

3. الإعجاز التشريعي.⁵

ووضح أن القرآن معجزة لغوية، وأشار إلى نظرتين للقشرة السطحية للفظ القرآني، وهما:

¹ المرجع نفسه، ص 171.

² مصطفى صادق الرافي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 333.

³ فضل حسن عباس، إعجاز القرآن المجيد، ص 311.

⁴ ينظر: محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، دار الثقافة، قطر، 1985، ص 6.

⁵ المرجع نفسه، ص 79.

1. الجمال التوقيعي في توزيع حركاته وسكناته، ومداته وعناته.

2. الجمال التنسيقي في رصف حروفه وتأليفها من مجموعات مؤتلفة.¹

في نظر في لب البيان وخصائصه التي امتاز بها عن سائر الكلام، فرتبها على أربعة:

1. القرآن في قطعة قطعة منه:

ووضح أن أسلوب القرآن تلتقي عنده نهايات الفصلة كلها على تباعد ما بين أطرافها² والتي تتمثل في:

– (أ) و(ب). القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى.

– (ج) و(د). خطاب العامة وخطاب الخاصة.

– (هـ) و(و). إقناع العقل وامتناع العاطفة.

– (ز) و(ح). البيان والجمال

وأقام تطبيقات على آيات كريمات

2. القرآن في سورة منه:

وتحدث فيه عن الوحدات التي تتمثل في سورة كاملة ثم نظر إليها ككل يمثل في

مجموعة واحدة مترابطة، وثيقة العرى، وطبق نظريته هنا على سورة البقرة حيث عرض

واحدا، رسم به خط سيرها إلى غايتها، وأبرز وحدة نظامها المعنوي في حملتها، لكي نرى

كيف وقعت كل حلقة موقعها من تلك السلسلة العظمى.³

3. القرآن فيما بين السور.

4. القرآن في جملته:

¹ المرجع نفسه، ص ص 101-104.

² ينظر: محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص 108.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 158.

إن كتاب الشيخ محمد الدراز - في الإعجاز هو يحق فتح حديد، فلقد هضم الشيخ ما كتب قبله وأفاد منه، وقد منحه الله قوة في التقرير وإصابة في الفكر مع سعة علم عاطفة.¹

7- سيد قطب في (التصوير الفني في القرآن) و(مشاهد القيامة في القرآن) و(في ظلال القرآن)

ولد سيد قطب في قرية من قرى محافظة أسيوط عام 1906م، اتصل بالأديب عباس محمود العقاد في بداية تحصيله العلمي وتأثر به، ثم التزم مع الاتجاه الإسلامي، استشهد عام 1966م.²

هو من خير من كتب في موضوعات القرآن في هذا العصر، لم يؤلف كتابا خاصا في الإعجاز، ولم يتكلم عليه صراحة في كتاباته، لكن القارئ لها يشعر بأنه يؤمن بالإعجاز إيمانا عميقا، فهو يبين الأمثلة التي يأتي بها من القرآن سحره الفني الذي يرادف في حقيقة الأمر إعجازه البياني.³

وقد تكلم على الإعجاز في (ظلال القرآن)، يقول: «إن إعجاز القرآن أبعد مدى من إعجاز نظمه ومعانيه وعز الإنس والجن عن الإتيان بمثله، هو كذلك عجز عن إبداع منهج كمنهجه يحيط بما يحيط به»⁴.

– الإعجاز البياني: الكلمة القرآنية

المنتبع لما كتبه سيد قطب يجده يولي الكلمة القرآنية كثيرا من العناية، وهو ينبه على سرها، ويبين جمالها في موضعها، ودقتها في سياقها، وأحقية مكانها بها، فقد

¹ فضل حسن عباس، إعجاز القرآن المجيد، ص 332.

² مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن الكريم، ص 112.

³ نعيم الحمصي، فكرة اعجاز القرآن، ص 343.

⁴ نقلا عن: فضل حسن عباس، إعجاز القرآن المجيد، ص 334.

اختيرت اختياراً دقيقاً، لأن غيرها لا يؤدي ما تؤديه، وهذا ما نبه عليه وأشار إليه العلماء السابقون.¹

– مراحل تذوق الجمال القرآني:

ويقسمها سيد قطب إلى ثلاث مراحل:

1. مرحلة التذوق الفطري، فالعرب الذين تلووا القرآن الكريم تذوقوا بحاستهم الفنية جماله الفني الساحر، وأحسوا تأثيره المباشر على قلوبهم، والكافرون منهم الذين شنوا حربه دعائية ضخمة، وقالوا عنه شعر وأنه سحر، لكنهم اعترفوا بالعجز البالغ عن معارضته، وأدركوا إعجازه البياني الرفيع، وتذوقوا جماله الفني؛

2. مرحلة إدراك مواضع الجمال المتفرقة، وتبدأ هذه المرحلة في منتصف القرن الثاني للهجرة، عندما أقبل العلماء على القرآن الكريم من مفسرين وأدباء متكلمين، إلا أن نظراتهم اقتصرت على نواح جزئية؛

3. مرحلة إدراك الخصائص العامة، وهي المرحلة التي جاءت متأخرة ولم تتم إلا في العصر الحديث، حيث بدأت الكتابة في الخصائص العامة للجمال الفني باكتشاف القاعدة العامة والموحدة في التعبير القرآني.²

– مميزات الأسلوب القرآني وخصائصه:

يتحدث سيد قطب عن مزايا أسلوب القرآن وخصائصه، وهو ما يجعل القرآن الكريم في أعلى طبقات البلاغة:

أ- تأثيره على النفوس.

ب- استعمال الألفاظ القليلة في التعبير عن القضايا الكبرى.

¹ المرجع نفسه، ص 353.

² ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ص ص 113-116.

ج- احتمال النص لمعاني كثيرة كلها صحيح ومقبول.

د- استحضار المشاهد وتجسيم الأحداث وتصويرها تصويراً ينفذ إلى أعماق

النفس.¹

– خصائص التصوير الفني:

ويتحدث عن خصائص التصوير الفني في القرآن، وهي:

1. التخيل الحسي وهو أن القرآن يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة من الأغراض

والموضوعات التي يبحثها، بحيث ترسم صورة فنية متخيلة في خيال القارئ، وهذا

التخيل ألوان كثيرة منها:

➤ التخيل بالتشخيص: ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (التكوير:

18)، يخيل إليك هذه الحياة الودیعة الهادئة التي تنفرج ثناياها، وهو التنفس معه،

ويد النشاط في الأحياء، على وجه الأرض.

➤ الصورة المتحركة في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ

الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف: 109).

➤ ومن أمثال التخيل ما يتمثل في الحركة المتخيلة التي تلقنتها في النفس بعض

التعبيرات، مثل في قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً

مَّثُورًا﴾ (الفرقان: 23).²

2. ومن خصائص التصوير التجسيم، ويعني بها تجسيم المعنويات المجردة وإبراز أجساماً

أو محسوسات على العموم، وهاتان ظاهرتان بارزتان في التصوير الفني في القرآن³؛

¹ فضل حسن عباس، إعجاز القرآن المجيد، ص ص 336-337.

² ينظر: فضل حسن عباس، إعجاز القرآن المجيد، ص ص 338-339.

³ عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن، دار المعارف، الجزائر، ط1، 2003، ص 49.

3. ثم ينقل إلى الحديث عن التناسق الفني في الآيات، من إتباع بين أجزائها وتلاؤم بين ألفاظها ومعانيها، ومواقع كمواقع النجوم لكلماتها¹.

8- عائشة عبد الرحمن في (الإعجاز البياني ووسائل ابن الأزرق)

عبد الرحمن عائشة -بنت الشاطي- الأستاذة الجامعية، والباحثة المفكرة والكاتبة المصرية، توفيت عام 1419هـ².

يكاد هذا الكتاب -الإعجاز البياني- أن يكون فتحاً في الدرس الإعجازي، لأنه يتتبع جهود القدامى، واستفاد منهم ما يمكن أن يشكل قاعدة انطلاق الدرس الإعجازي المعاصر، يعطي الأولوية للإنجاز، ويرسى منهجاً يقوم على عناصر منها رفض الترادف، ومراعاة موقع اللفظ وسياقه، والاستقصاء والإحصاء للألفاظ والتعبير والأساليب المراد دراستها وعرف الاستعمال، ثم التعليل³.

قسمت بنت الشاطي كتابها إلى قسمين: الأول تتحدث فيه عن إعجاز القرآن بعنوان (الإعجاز البياني)، والثاني تتحدث فيه عن مسائل نافع بن الأزرق:

كما أخذ بنت الشاطي عدة ملاحظات رصيدها فضل حسن أحمد عباس، منها: «لقد كان من الأحرى من بنت الشاطي صاحبة النسب التعريف في الشيوخ أن لا تقحم مسائل بن الأزرق في كتاب يتحدث عن إعجاز القرآن، ومسائل نافع تعنى بها تلك الكلمات التي جاء يسأل نافع بن الأزرق عبد الله بن عباس عنها، فأجابه بن عباس فيها، وستشهد لكل كلمة فسرهما ببيت من الشعر»⁴.

¹ فضل حسن عباس، مرجع سابق، ص 340.

² صفاء بنت عثمان عباس فدا، الإعجاز البياني، ص 1306.

³ الحسين زروق، جهود الأمة في الإعجاز البياني، المؤتمر العالمي في القرآن، ص 1204.

⁴ فضل حسن عباس، إعجاز القرآن المجيد، ص 352.

« لقد ذكرت الكاتبة هذه المسائل دون أن تبين القيمة العلمية لها، ودون أن تعلق على مدى صحتها، فلم تعرض لأسانيدھا أو متونها، مع أن هذه المسائل أخذت نصف كتاب الإعجاز، فكان الحري بها أن تطلعنا على هذه القضية»¹.

وقوله: «... تحاول أن تقلل مما كتبه العلماء، إنها تصور علماءنا بصورة منفردة، فقد تحدثت عن الباقلاني وعبد القاهر الجرجاني، وأهملت بالطبع الأستاذ الكبير الدكتور محمد عبد الله دراز صاحب (النبأ العظيم)، لم تتحدث عما أثروا به المكتبة القرآنية... وأهملت ما ذكره المؤلفين وما أشادوا به من فضل السابقين عليهم»².

تأثر بكتاب الدكتورة عائشة عدة من الدارسين للإعجاز: كالدكتور فاضل صالح السامرائي في سلسلته: «دراسات بيانية في الأسلوب القرآني» والأستاذ مصطفى الدباغ في (وجوه الإعجاز القرآني) والدكتور عبد العظيم إبراهيم محمد في (دراسات جديدة في إعجاز القرآن) والأستاذ محمد السيد موسى في (الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم: دراسة وتطبيق) والدكتور عمار ساسي في (الإعجاز البياني في القرآن الكريم: دراسة نظرية في الآيات المحكمات)³.

9- محمد سعيد رمضان البوطي في (من روائع القرآن)

هو محمد سعيد رمضان البوطي (1929م) عالم سوري متخصص في العلوم الإسلامية، ومن المرجعيات الدينية الهامة على مستوى العالم الإسلامي، اغتيل يوم 21 مارس 2013.⁴ ومن الجهود القيمة أيضا ما قدمه الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (من روائع القرآن، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل)، فالكتاب عبارة عن تأملات علمية وأدبية سريعة في كتاب الله أراد من خلالها أن يوضح بعض ما ينطوي عليه هذا الكتاب من

¹ المرجع نفسه، ص 353.

² المرجع نفسه، ص 356.

³ فضل حسن عباس، إعجاز القرآن المجيد، ص ص 1204-1205.

⁴ ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي/ https://ar.wikipedia.org/wiki/محمد_سعيد_رمضان_البوطي

روعة البيان وإعجازه، ومدى تأثيره في مختلف العلوم العربية التي تزخر بها المكتبة العربية اليوم، مما لا بد للأديب ودارس اللغة والمتخصص فيها من الوقوف عليه، وكان من دواعي إلى هذا التأليف انطواء الكتاب العزيز على علوم مختلفة هامة، وعلى صور من الجمال في تعبيره وأسلوبه كما أشار إليها البوطي في مقدمته أن لا معنى للأدب والعربية دون دراسة القرآن¹.

تحدث البوطي عن أسلوب القرآن، وألقى نظرة عامة في خصائصه وهي بإيجاز:

1. أن القرآن ليس على أعريض الشعر في رجزه ولا في قصيده، وليس على سنن النثر في إرساله ولا في تسجيده.

2. من أجل مظاهر الإعجاز القرآني، وهي أن التعبير القرآني نطل جاريا على نسق رفيع واحد من سمو في جمال اللفظ، ورقة الصياغة وروعة التعبير، برغم تنقله من موضوعات مختلفة.

3. أن معانيه مسوغة بحيث يصلح أن يخاطب بها الناس كلهم على اختلاف مداركهم وثقافتهم، وعلى تباعد أزممنتهم وبلدانهم ومع تطور علومهم واكتشافاتهم.

4. لا تزال موضع البحث والدرس: التكرار بنوعيه:

أ- تكرار بعض الجمل والألفاظ.

ب- تكرار بعض المعاني.

5. تداخل الأبحاث والموضوعات في معظم الأحيان، فإن الآيات لم تتسق وتبوب في القرآن بحسب الموضوعات².

كما تحدث عن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم فيقول:

¹ عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن، ص 53.

² ينظر: نعيم الحمصي، فكرة الإعجاز القرآني، ص ص 403-497.

القرآن معجز من وجوه مختلفة، بعضها خاص بالعرب الذين درسوا اللغة العربية، وتذوقوا بلاغتها والبعض الآخر عام يدركه العقلاء من الناس كلهم، ثم تناول بالشرح والتفصيل الخاص والعام في هذا العنصر ثم ينتقل إلى مظاهر إعجازه اللغوي وبيانه كآلاتي:

– المظهر الأول: الخصائص المتعلقة بأسلوبه:

أ- أنه يجده على نسق بديع خارج من المعروف والمألوف من نظام جميع كلام العرب¹.

ب- إن التعبير القرآني يظل جاريا على مستوى رفيع واحد من النمو المتناهي في جمال اللفظ ورقة الصياغة وروعة التعبير.

ج- ألفاظه مسوغة بشكل غريب، وعلى هيئة عجيبة، بحيث تصلح أن تكون خطابا للناس جميعا على اختلاف عقولهم وتفكيرهم وثقافتهم.

– المظهر الثاني: خاصة بالكلمة القرآنية².

– المظهر الثالث: الجملة وصياغتها: ولإعجاز فيها وجوه، وفيه يقول: «لا بد أن تجد الجملة القرآنية مؤلفة من كلمات وحروف ذات أصوات تستريح لتألفها السمع والصوت والنطق، ويتكون من اجتماعها على الشكل الذي رتب عليه نسق جميل ينطوي على إيقاع خفي رائع، ما كان ليتم لو نقصت الجملة كلمة أو حرفا أو اختلف الترتيب ما بينها بشكل من الأشكال»³.

ويتلخص مظاهر الإعجاز في الجملة في الأمور الثلاثة التالية:⁴

1. الإثبات اللفظي والإيقاع الداخلي.

¹ ينظر: عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن ص 55.

² ينظر: عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن ص 55.

³ محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1999م، ص 144.

⁴ المرجع نفسه، ص 144.

2. دلالتها بأقصر عبارة على أوسع معنى.
 3. إخراجها المعنى المجرد في مظهر الأمر المحسوس.
- المظهر الرابع: ما نجده في كثير من آياته من جلال الربوبية وكبرياء الألوهية، وذلك بغض النظر عن المعنى الذي يؤديه اللفظ، وهذا مما لا يقوى أي إنسان على اختلافه في أي صنف من أصناف الكلام¹.
- وتحدث البوطي على منهج القصة في القرآن وخصائصها الفنية:
- أ- منهج القصة في القرآن:
- يبين البوطي:
1. أن القصة في القرآن ليست غرضاً مقصوداً لذاته، فالغرض منها ديني.
 2. أن القرآن يتخذ من الجمال الفني أداة لتحقيق هذا الغرض.
 3. أن المنهج القرآني للقصة أثر من آثار هذا الغرض، وهو يقوم على أروع مظاهر الجمال الفني والإشراف البياني.
- ب- الخصائص الفنية للقصة في القرآن:
1. العرض التصويري.
 2. التنوع في استهلال القصة ووضع المدخل إليها.
 3. العرض التمثيلي الذي يبرز المشاهد جلية مشرفة أمام الناظر، ويطوي ما بينها من الروابط البديهي اعتماداً على سير المخيلة وتصورها².

¹ عمار ساسي، المرجع سابق، ص ص 55-56

² ينظر: نعيم الحمصي، فكره الإعجاز القرآني، ص ص 419-421.

الفصل الثاني

مظاهر الإعجاز اللغوي عند فاضل

صالح السامرائي

كتاب التعبير القرآني

2 - 1 المنحى النحوي

2 - 2 المنحى البلاغي

2 - 3 المنحى القصصي

كتاب التعبير القرآني:

كتاب التعبير القرآني طبعته دار عمار الطبعة الرابعة سنة 2006 م الموافق لـ 1427 هـ ، كان موضوعه الرئيسي (الإعجاز في القرآن) ، وقد جاء الكتاب في ثلاث وخمسين وثلاثمئة صفحة ، بدأه بمقدمة عرف فيها موضوع الكتاب و أهدافه من هذا التصنيف ، حيث قال : « ثم قررت أن أدرس القرآن فبدأت أجري موازنات بين أكثر من الآيات من حيث التشابه و الاختلاف في التعبير ، و التقديم والتأخير ، و الذكر والحذف ، وما إلى ذلك من أمور لغوية ومعنوية ، و أفحصها فحصاً دقيقاً ، فراعني ما رأيت من الدقة في التعبير ، و الإحكام في الفن ، و العلو في الصنعة ، وجدت تعبير فنيا مقصوداً حسب لكل كلمة فيه حسابها ، بل لكل حرف ، بل لكل حركة»⁽¹⁾ .

و يمكننا القول أن هذا الكتاب - التعبير القرآني - أحد مصنفات العصر الحديث التي درست الإعجاز دراسة علمية وذلك لاعتبارين :

أولاً : إن دراسة السامرائي تختلف عن الدراسات الأخرى من حيث الانطلاقة ، حيث نجد أن جل من درس الإعجاز يدرسه من اليقين إلى اليقين، أما السامرائي من الشك إلى اليقين أي أن الدارسين للإعجاز كانوا مؤمنين بإعجازه قبل الخوض في الدراسة ، أما السامرائي كان مخالف لهذا ، فيقول : « فقد كنت أسمع من يقول : إن القرآن معجز و إنه أعلى كلام و إنه لا يمكن مجاراته أو مداناته و أن الخلق أجمعين لو اجتمعوا على أن يقولوا مثله ما استطاعوا، وقد قرأت في كثير من الكتب نحو من هذا القول وكنت أرى في هذا غلوا ومبالغة ، دفع القائلين به حماسهم الديني وتعصبهم للعقيدة التي يحملونها»⁽²⁾.

ثانياً : تصريح السامرائي في كتابه ، حيث يقول : « أنا لا أقول إنني وضعت الكتاب بعيداً من العصبية و الهوى و إن كان يخيل إلي أنني فعلت ذلك»⁽³⁾ .

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، دار عمار ، عمان ، طه ، 2006م ، ص 7 .

(2) -المصدر نفسه ، ص 7 .

(3) -المصدر نفسه ، ص 8 .

كما نجد أن السامرائي يشترط في الدرس الإعجازي المعرفة بالمسلمات اللغوية ومعرفة بأحكام اللغة وأسرارها وذاك في قوله: « صحيح أن كثيرا من الناس ليس لديهم إطلاع على المسلمات اللغوية وليس لديهم معرفة بأحكام اللغة و أسرارها ومن الصعب أن يهتدي هؤلاء إلى أمثال هذه المواطن من غير دليل بأخذ بأيديهم يدلهم على مواطن الفن و الجمال ويبصرهم بأسرار التعبير»⁽¹⁾.

وأما عن منهج السامرائي في كتابه ، نجده لم يقسمه إلى أبواب وفصول، وإنما كان يصوغ الفكرة الرئيسية، ثم ينطلق يفصلها تفصيلا، نتناول في كتابه عدد من سمات وخصائص التعبير القرآني من حيث بنيته، ومن حيث التقديم والتأخير والذكر والحذف والتوكيد في القرآن، والتشابه والاختلاف، فواصل الآي والسمة التعبيرية للسياق، والحشد الفني ، حيث جعل لكل خصيصة فكرة أو إطار عام ثم يتناولها بالدراسة والبحث للعديد من أمثلة الآيات المتشابهات التي تبرز و توضح تلك السمة و الخصيصة و أحيانا نجد أنه يطول البحث في الفكرة فتستغرق عدد كثير من الصفحات مثل الحشد الفني الذي استغرق ما يزيد عن سبعين صفحة .

2-1 - المنحى النحوي :

1- استعمال الفعل و الاسم :

يقول اللغويون إن الاسم يفيد الثبوت و الفعل يفيد التجدد و الحدوث فإذا قلت (خالد مجتهد) أفاد ثبوت الاجتهاد لخالد في حين أنك قلت : (يجتهد خالد) أفاد حدوث الاجتهاد له بعد أن لم يكن ، وسر ذلك أن الفعل مقيد بالزمن ، فالفعل الماضي مقيد بالزمن الماضي ، و المضارع مقيد بزمن الحال أو الاستقبال في الغالب في حين أن الاسم غير مقيد بزمن من الأزمنة فهو أشمل و أعم و أثبت.⁽²⁾

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 8.

(2) - فاضل صالح السامرائي ، معاني البنية في العربية ، دار عمار ، ط2 ، 2007 م ، ص 9.

الفعلية الدالة على الحركة و التجدد و لأن الميت في حالة صمود و سكون وثبات جاء معه بالصيغة الإسمية الدالة على الثبات»⁽¹⁾.

وقال تعالى في سورة عمران ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ تُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ تَرْزُقُهُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران : 27) .

يقول السامرائي: « إن السياق في آل عمران يختلف عنه في الأنعام ، وذلك أن السياق في آل عمران هو في التغير والحدوث و التجدد عموما ... في حين أن السياق في سورة الأنعام مختلف و ليس السياق في التغيرات و إنما هو في صفات الله تعالى وقدرته وتفضله على خلقه»⁽²⁾.

السياق في آل عمران هو التعبير عن الحدوث و التجدد عموما ، فالله سبحانه يؤتى ملكه من يشاء وينزع ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويغير الليل النهار و يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي فالسياق كله حركة وتغير وتبديل فجاءت الصيغ الفعلية مناسبة للدلالة على التجدد و الحدوث في حين أن السياق في الأنعام مختلف من حيث دلالاته على صفات الله وقدرته وهي صفات ثابتة غير متغيرة⁽³⁾.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال : 33) ، « فقد جاء في صدر الآية بالفعل (ليعذبهم) وجاء بعده بالاسم (معذبهم) وذلك أنه جعل الاستغفار مانعا ثابتا من العذاب بخلاف بقاء الرسول بينهم فإنه - أي العذاب - موقوت ببقائه بينهم»⁽⁴⁾.

فذكر الحالة الثانية بالصيغة الإسمية و الحالة الموقوتة بالصيغة الفعلية وهو نظير قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ (القصص : 59) فالظلم من الأسباب الثابتة في هلاك الأمم فجاء

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 23 .

(2) - المصدر نفسه ، ص 23 .

(3) - شلتاغ عبود ، أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ط 1 ، 2003 م ، ص 25 .

(4) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني، ص 26

بالصيغة الإسمية للدلالة على الثبات و جاء بالظلم بالصيغة الإسمية دون الفعلية فقال « و أهلها ظالمون » ولم يقل « يظلمون » وذلك معناه أن الظلم كان وصفا ثابتا لهم .⁽¹⁾
ومن استعمال الفعل و الاسم قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (غافر - 61) ، استعمال مع الليل الفعل (لتسكنوا فيه) ومع النهار (مبصرا) ولم يستعمل بينهما مع أن الاستعمال الحقيقي هو (لتبصروا فيه) .

«ذلك أنه جمع الحقيقة و المجاز في تعبير واحد ولو جعلها بصورة تعبيرية واحدة لكانت هذه المزية الفنية فإنه ذكر نعمة الله علينا في الليل فقال: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾ (يونس : 67) ، ولو قال هو الذي جعل لكم الليل ساكنا لم يكن فيه دلالة نعمة على الحلق من ناحية ولكانت (لكم) هنا زائدة ليس لها فائدة ، فهو جاء (بلكم) و الصيغة الفعلية للدلالة على قصد النعمة و التفضيل علينا»⁽²⁾.

فعدل من الفعل إلى الاسم ومن الحقيقة إلى المجاز العقلي فقال : (و النهار مبصرا) وذلك أن النهار لا يبصر من فيه فجمع بين التعبير الحقيقي و المجازي ودل المقصد الأول من الآية وهو الدلالة على النعمة بأقرب طريق فكسب المعنى و الفن معا ، فجعل النهار مبصرا فمن جمال و زيادة في المعنى فقد أفاد هذا العدول إلى الإسمية معنيين :

1- أننا نبصر فيه كما قيل : ليل نائم و المقصود نائم أهله .

2- أنه جعل مبصرا أيضا يبصر أعمالنا ويكون شاهدا علينا بالخير و الشر .⁽³⁾

(1) - فهد خليل زايد ، الإعجاز العلمي و البلاغي في القرآن الكريم ، دار النفائس ، الأردن ، ط 1 ، 2008 ، م ، ص 240 .

(2) - فاضل صالح السامرائي ، المصدر السابق ، ص 27 .

(3) - فهد خليل زايد ، الإعجاز العلمي و البلاغي في القرآن الكريم ، دار النفائس ، الأردن ، ط 1 ، 2008 ، م ، ص ص 241 - 242 .

وفي سورة (الكافرون) عبر الرسول عن نفي عبادة الأصنام عن نفسه بالصيغتين الفعلية و الإسمية في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6) ﴾
 ففي (لا أعبد ما تعبدون) و (ولا أنا عابد ما عبدتم) و بالفعلين المضارع و الماضي (تعبدون) و (عبدتم) ونفى عن الكافرين العبادة الحقبة بصيغة واحدة مرتين وهي الصيغة الإسمية (ولا أنتم عابدون ما أعبد) .

« ومعنى ذلك أنه نفى عبادة الأصنام عن نفسه في الحالتين الثابتة والمتجددة في جمع الأزمنة وهذا غاية الكمال »⁽¹⁾ ، « في حين نفاه عنهم - الكافرين - بالصيغة الإسمية فقط»⁽²⁾.

ومن ذلك أيضا استعمال القرآن للإيمان و الاستغفار ، فقد استعمل الإيمان بالصيغة الإسمية كثير لأن الإيمان له حقيقة ثابتة تقوم بالقلب ، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ (السجدة: 18) .

وقال: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ (طه : 112) ، و استعمل الاستغفار بالصيغة الفعلية فإنه لما كان الاستغفار لحدث ويتجدد جاء به بالصيغة الفعلية كثيرا ، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (غافر : 7) .

وقال: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (الشورى : 5) و مثل ذلك التسبيح فإنه ورد بالصيغة الفعلية كثير للسبب نفسه ، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ (الأعراف : 206) .

و ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (الجمعة : 1) ⁽³⁾.

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 28.

(2) -المصدر نفسه ، ص ص 30-31 ، وينظر: فهد خليل زايد ، الإعجاز العلمي و البلاغي في القرآن الكريم ، ص 244.

(3) - ينظر: فهد خليل زايد ، الإعجاز العلمي و البلاغي في القرآن الكريم ، ص 244.

2- تقديم اللفظ على عامله :

يمكن تحديد مفهوم التقديم في النظم الكلام وتأليفه بأنه : تبادل في مواقع الكلمات ، بحيث تترك كلمة مكانها في مقدمة ، لتحل مكانها كلمة أخرى ، وذلك لتؤدي غرض بلاغي ما كانت لتؤدي لو أنها في مكانها الذي اقتضته قاعدة الضبط اللغوي ، و التقديم و التأخير متلازمان ، بمعنى أن كل تقدم يستلزم تأخيراً وكل تأخير يبني على تقديم.⁽¹⁾

« و الكلم ثلاث : اسم وفعل وحرف ، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة ، وهو لا يعدو ثلاث أقسام ، تعلق اسم باسم وتعلق فعل بفعل و تعلق حرف بهما ، فالاسم يتعلق بالاسم بأن يكون خبراً عنه أو حالاً منه أو تابعا له صفة أو تأكيدا أو عطف بيان أو عطفاً لحرف ، أو يكون الأول مضافاً إلى الثاني ، أو يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل ، و ذلك في اسم الفاعل أو اسم المفعول و الصفة المشبهة و المصدر أو التمييز»⁽²⁾.

ومن المعلوم في صياغة الجملة في اللغة العربية أن كل كلمة فيها لها ترتيب خاص فيها بحسب وضعها ، فالمبتدأ مقدم على الخبر ، و الفعل مقدم على الفاعل ، والفاعل مقدم على المفعول به ، وفعل الشرط مقدم على جواب الشرط ، و العدة مقدمة على الفصلة المتممة لها ، و الفصلة هي الكلمات التحسيسية مثل : الظرف و الجار و المجرور و التمييز وغيرها ، هكذا تكون بعد العدة ، وهي الفعل و الفاعل .⁽³⁾

ومن أسباب التقديم و التأخير في البيان القرآني :⁽⁴⁾

1- التقديم لاختصاص : كأن يقدم القرآن لفظاً لاختصاصه بأمر معين فيقدم الخبر

على المبتدأ ، أو المفعول به على الفاعل يخص ذلك لفظ بذلك الأمر ، وهذا

(1) - ناصر بن عبد الرحمان بن ناصر الخفيص ، النظم القرآني في آيات الجهاد ، مكتبة التوبة ، الرياض ، ط1 ، 1996 م ، ص 297.

(2) - منير محمود المسيري ، دلالات التقديم و التأخير في القرآن الكريم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ، 2005م ، ص 87.

(3) - خالد الخالدي صلاح ، إعجاز القرآن و دلائل مصدره الرباني ، دار عمان ، ط1 ، 2000 م ، ص 261.

(4) - المرجع نفسه ، ص 262.

السبب الذي عده السامرائي الغالب في القرآن بالنسبة لتقديم اللفظ على عامله
«وهذا التقديم في الغالب يفيد الاختصاص»⁽¹⁾.

2- التقديم للتفضيل : كأن يقدم الفاضل على المفضول.

3- التقديم للأهمية : كأن يقدم الأهم على ما دونه.

4- التقديم للأولوية الزمانية : كأن يقدم الأسبق في الوجود و الزمان.

5- التقديم للترتيب : كأن يقدم ما يدعو إلى فعله قبل غيره.

6- التقديم للكثرة أو القلة : كأن يقدم الأكثر على الأقل أو العكس.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (4) اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿﴾ (الفاتحة :

5-6) « فقد قدم المفعول به (إياك) على فعل العبادة وعلى فعل الاستعانة دون فعل الهداية فلم يقول (إياك اهد) كما قال في الأولين ، وسبب ذلك أن العبادة و الاستعانة مختصان بالله تعالى ، فلا يعبد أحد غيره ولا يستعان به»⁽²⁾.

أما الترتيب في قوله (اهدنا الصراط المستقيم) فهو وفق الأمر لأن (اهد) فعل أمر - أو فعل دعاء- مبني على حرف العلة ، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت ، يعود على الله و (لنا) ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول و (الصراط) مفعول به ثان منصوب ، ولو قدم المفعول به في هذه الآية لقال إيانا اهد ، كما قال قبلها .
إياك نعبد ! فما حكمة تقديم المفعول به في (إياك نعبد و إياك نستعين) وعدم تقديمه (اهدنا الصراط...) .

وسبب التقديم و التأخير هو الاختصاص لأن موضع الآية هو عبادة الله و الاستعانة به (3) .

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 49.

(2) -المصدر نفسه ، ص 49.

(3) - خالد الخالدي صلاح ، إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني ، دار عمان ، ط 1 ، 2000 م ، ص ص

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (11) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (إبراهيم: 11-12) .

فقد قدم الجار و المجرور (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فقدم الجار و المجرور للدلالة على الاختصاص وذلك لأن التوكل لا يكون إلا على الله وحده .⁽¹⁾

تأخير المفعول به في ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة : 6) .

«إذ لا يصلح أن يقول : اللهم اهديني وحدي ولا تهد أحد غير أو خصني بالهداية من دون الناس»⁽²⁾ .

لكن يجوز لك أن تقول اللهم اهديني و أرزقني : أي اجعلني من حملة عبادك المهتدين و المرزوقين ، و التقديم هو الأنسب في قوله (إياك نعبد و إياك نستعين) و التأخير الأنسب في قوله (اهدنا الصراط المستقيم) وفق التوازن البياني الدقيق في ذلك⁽³⁾ .

و قد يكون التقديم لغرض آخر كالمدح و الثناء و التعظيم و التحقير وغير ذلك من الأغراض ، إلا أنها تفيد الاختصاص ، ومن التقديم الذي يفيد الاختصاص قوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ (الأنعام : 83) ، فهذا ليس من باب التخصيص إذ ليس معناه أننا ما هدينا إلا نوحا ، وإنما هو من باب المدح و الثناء⁽⁴⁾ .

3- ألفاظ القرآن بين التوكيد وعدمه :

التوكيد و عدمه من أساليب البيان العربي ، فقد يكون الكلام لا يحتاج إلى توكيد فتأتي ألفاظ الجملة بغير توكيد ، وقد تحتاج الجملة إلى مؤكد واحد أو أكثر و ذلك حسب ما يقتضيه المقام و الموضوع ، فيؤتى بالمؤكدات المطلوبة .

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص ص 49 - 50 .

(2) - المصدر نفسه ص 50 .

(3) - خالد الخالدي صلاح ، المرجع السابق ، ص 264 .

(4) - فاضل صالح السامرائي ، المصدر السابق ، ص 51 .

و إن « التوكيد وعدمه واضح في البيان القرآني ، يحكمه السياق الذي وردت فيه الجملة القرآنية ويراعي فيه حاجة السياق إلى نوع التأكيد ، ويتم ذلك كله بالتوازن الدقيق المقصود»⁽¹⁾.

«و التوكيد القرآني كله وحدة متكاملة ، منظور إليه نظرة شاملة ، وروعت في ذلك جميع مواطنه ، فهو في موطن ما ، مراعيًا موطنًا آخر قرب أو بعد ، فتدرك أنه أكد في هذا الموطن بسبب اقتضى التوكيد ، ولم يؤكد في موطن آخر شبيهًا به ، لإنعدام موجبه ، وترى أنه هنا أكد بمؤكدين ، وأكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به ، بمؤكد واحد لسبب دعا إلى استعمال كل تعبير في موطنه المناسب له.

وكذلك في اختيار المؤكدات ، فهو يؤكد هنا بالنون الخفيفة مثلًا ، وفي موطن آخر بالنون الثقيلة ، وهنا بحرف (إن) المشددة ، وفي موطن آخر بحرف (إن) المخففة وقد يستبدل حرفًا بحرف.

كل ذلك بحسب منظور فني متكامل في كل القرآن ، فجاء التوكيد في القرآن كأنه لوحة فنية واحدة فيها من عجائب الفن - وليس فيها إلا العجب - ما يجعل أُمهر الفنانين يقف أمامها مبهورًا دهشًا ، مقرا بعجز الخلق أجمعين عن استخلاص عجائب القرآن ، فخلا عن الإتيان بمثله»⁽²⁾.

أدوات التأكيد :

لتأكيد بالعربية أدوات و طرق لا بد من معرفتها ، لتستعملها عد الخاصة ، وهي :
(لام الابتداء ، نون التوكيد ، إن ، الحروف الزائدة ، ضمير الفصل...).

لام الابتداء :

في قوله تعالى: ﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (النحل: 29).
وقوله: ﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (الزمر: 72).

(1) - خالد الخالدي صلاح ، إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني ، ص 271 .

(2) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 125.

فقد أدخل اللام في آية النحل على (بئس) وذلك أنه في سورة النحل وصف قوما أشد كفرا و أكبر جرما من المذكورين في سورة الزمر وذلك أنهم ضلوا و أضلوا غيرهم، و حملوا من أوزار الذين يصلون علاوة على أوزارهم هم فزاد عذابهم ، قال تعالى ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (النحل : 25) .

فناسب ذلك زيادة اللازم لتوكيد العذاب لهم بخلاف المذكورين في سورة الزمر فإنه لم يصفهم بمثل هذا الوصف ومن ناحية ثانية أفاض في سورة النحل في وصف الكافرين ما لم يصفه في سورة الزمر ، فناسب ذلك أيضا ذكر اللام و الزيادة في التوكيد، إذ كما زاد وبسط في الوصف زاد من التوكيد لأنه المناسب لمقام البسط و الإفاضة. (1)

نون التوكيد :

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (البقرة : 147)، وقوله تعالى: ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (آل عمران : 60) ، فأكد الفعل تكون في سورة البقرة في الآية 147 ، و الأنعام 14 ، ويونس 94 - 95 - 105 دون آية آل عمران ، وذلك لأن المقام في سورة البقرة يقتضي التوكيد في كل مواطن أكد فيه الفعل دون المواطن الذي لم يؤكد فيه ، فقد أكد في الآية الأولى لأن المقام فيها في تبدل القبلة وما صحب ذلك ، و أما آية عمران فليس الأمر كذلك ففي آيات البقرة من الإرجاف و الفتنة حول القبلة ما ليس في آية آل عمران ، فاحتاج المقام في البقرة إلى التوكيد بخلاف آل عمران. (2)

ومثال آخر : قال تعالى ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (94) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (يونس : 94-95).

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 126.

(2) -المصدر نفسه ، ص ص 132 - 133.

السياق في آية يونس يقتضي التوكيد (فإن كنت في شك) و إزالة الشك تحتاج إلى التوكيد ، والمؤكدات في السياق :

1- التوكيد بالقسم وقد في قوله : « لقد جاءك الحق من ربك ».

2- التوكيد بالنون في قوله : « فلا تكن من الممترين » وقوله « ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله » .

3- التوكيد (إن) وفي قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس: 96) (فأقتضى السياق كل ذلك التوكيد)⁽¹⁾ (إن).

في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴾ (المجادلة:2)، يحدثنا عن الذين يظاهرون من نسائهم وقد كان ذلك من الأمور التي لا يرون بها بأسا ، ولا يعدون فيها عيبا ، فكانت هذه المؤكدات إن و الجملة الإسمية و اللام، من أجل أن يتجنبوا الظاهر ، كان المقام إذن يقتضي هذه المؤكدات جميعا ثم أكدت الجملة الثانية (و إن الله لعفو غفور) بيانا لعظم الذنب وهو الظاهر ، فهو يحتاج إلى كبير عفو ، وكثير مغفرة ، فجاءت الجملة الثانية مؤكدة بهذه المؤكدات وهي (إن) ، و الجملة الإسمية ، و اللام.⁽²⁾

الحروف الزائدة :

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (فصلت:20).

وقال : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾ (الزخرف : 38).

وقال : ﴿ ... حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحْتِ أَبْوَابَهَا... ﴾ (الزمر :71).

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 133.

(2) -المصدر نفسه ، ص ص 135-136.

« فزاد (ما) بعد (إذا) في آية فصلت ، وذلك لأن شهادة السمع و الأبصار وسائر الجوارح من المعاني القوية التي لا يقتضيها الشرط الذي هو المجيء»⁽¹⁾ ، فستتكرهم حتى قالوا لجلودهم (لم شهدتم علينا؟) فأجابوا بأن قالوا: « أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء» وليس كذلك « حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها» لأن المجيء يقتضي فتح الأبواب وكذلك « حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك » ، أي : « قال الآدمي لقرينه من الجن اللذين إشتراكا في الدنيا في معصية الله ثم اشتراكا في العذاب في الآخرة ، ليتني لم أتبعك وكان بعد ما بين المشرقين بيني و بينك»⁽²⁾

ضمير الفصل :

نحو قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (الحج :62).

وقوله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (لقمان :30).

التشابه موجود بين الآيتين إلا في وجه ضمير الفصل في آية الحج (هو الباطل) وخلوها منه في آية لقمان (الباطل) وسياق كل الآيتين يوضح ذلك ، فأية الحج واقعة في سياق الصراع مع أصل الباطل ومجاهدتهم أشق أنواع الجهاد.⁽³⁾ ولا يوجد مثل هذا في سورة (لقمان) و إنما هو عرض لأصحاب الباطل من وجه آخر ليس فيه هذا الصراع ، لهذا فإن السياق مع أهل الباطل مختلف ، فهم في الصورة الأولى من سورة الحج ساعون معاجزون مصارعون معاندون تحتاج الأمر إلى زيادة تثبيت المؤمنين وعدم افتتانهم بسلطة أصحاب الباطل وتمكنهم من رقاب الناس فإن السلطان فتنة ورهبة.⁽⁴⁾

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 136.

(2) - المصدر نفسه ، ص 137.

(3) - المصدر نفسه ، ص 143.

(4) - المصدر نفسه ، ص ص 143 - 145.

قد يأتي بألفاظ التوكيد المعروفة في المواطن التي تقتضي ذلك .

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ (البقرة: 193).

وقوله تعالى : ﴿ وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (الأنفال: 39).

«فأكد الدين بلفظ (كل) في الأنفال بخلاف البقرة وذلك لأن القتال في سورة البقرة

مع أهل مكة فحسب ، أما الأنفال فمع جميع الكفار ولذا عمم»⁽¹⁾.

وحصر القتال في سورة البقرة بعد العدوان فقال: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ

وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة: 190) فلما كان القتال محدد لم يأت باللفظة

الدالة على العموم بل قال : « ويكون الدين لله» بخلاف ما في الأنفال فإنه لم يخصص

القتال ببرد العدوان بل أطلقه فقال تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ

يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (38) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ ﴾ (الأنفال : 38-

39) فلما أطلقه في الأنفال وعممه جاء باللفظة الدالة على الشمول وهي لفظة (كل).⁽²⁾

2-3- المنحى البلاغي :

1- تقديم اللفظ وتأخيره على غير العامل :

من أوسع أبواب البلاغة ، إلا أن الحديث عنه في هذا المبحث سيكون بالاعتماد على

ما قاله السامرائي في كتابه التعبير القرآني ، فقد تقدم - في مبحث تقديم اللفظ على

عامله - أن النظم وترتيب الألفاظ في الجملة العربية يكون بما يقتضيه قاعدة الضبط

اللغوي.

يقول عبد القاهر الجرجاني : « هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع

التصرف ، بعيد الغاية ، ولا يزال يفتر لك عن بديعه ، ويفضي بك إلى لطيفه ، ولا تزال

ترى شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنتظر فتجد سبب أن راقك ولطف

عندك أن قدم فيه سيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان »⁽³⁾ .

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 139 .

(2) - فهد خليل زيد ، الإعجاز العلمي و البلاغي ، ص ص 174 - 175 .

(3) - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 106 .

فهو من الأساليب البلاغة التي لها أثر واضح في الكشف عن دقائق المعاني وتجلية المستور منها وراء الألفاظ ، الأمر الذي يظهر لحسن مراعاة لما يقتضيه الحال ، مقدرة المتكلم على استغلال الكلام في التعبير عن أغراضه بأوجز عبارة و أحسنها و أشدها وقعا في النفوس و أبلغها. (1)

إن تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة يقتضيها المقام وسياق القول ، إن التقديم يكون للعناية و الاهتمام ، فلما كانت به عنايتك أكبر قدمته في الكلام ، و العناية باللفظ لا تكون من حيث إنها لفظة معينة بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال. (2)

« تقديم لا على نية التأخير ، ولكن على أن تتقل الشيء عن حكم إلى حكم ، وتجعل له بابا غير بابه ، و إعرابا غير إعرابه وذلك أن تجزأ إلى اسمين يحتمل كل واحد منها أن يكون مبتدأ و يكون الآخر خبر له فتقدم تارة هذا على ذلك ، و أخرى ذلك على هذا... و اعلم أنا لم تجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجرى الأصل، غير العناية و الاهتمام» (3)

أ- إن القرآن الكريم يقدم الألفاظ حسبما يقتضيه المقام فقد يكون سياق الكلام مؤخرا بحسب القدم و الأولوية في الوجود فيرتب ذكر الكلمات على هذا الأساس فيبدأ بالأقدم ثم الذي يليه. (4)

وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذريات : 56) خلق الجن قبل خلق الإنس.

ونحو قوله تعالى: ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ (البقرة : 255) ، ولأن السنة هي النعاس تسبق النوم فبدأ بالسنة ثم النوم.

ب- ولذلك تقديم السمع على البصر ، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى : 11) ، وتقدم الصم وهم فاقدو السمع على العميان وهم فاقدو البصر ، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا

(1) - عبد الجليل عبد الرحيم ، لغة القرآن الكريم ، مكتبة الرسالة الحديثة ، ط1 ، 1981 م ، ص 331.

(2) - فهد خليل زايد ، الإعجاز العلمي و البلاغي من القرآن الكريم ، ص ص 122 - 123.

(3) - عبد القاهر الجرجاني ، المصدر السابق ، ص ص 106 - 107.

(4) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 53.

ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿ (الفرقان: 73) ، و الدليل على ذلك أن الله لم يبعث نبيا أصم ولكن قد يكون النبي أعمى كيعقوب فإنه عمى لفقد ولده. ولتقديم السمع على البصر أسباب⁽¹⁾ :

- 1- إن السمع بالنسبة إلى تلقي الرسالة أفضل من البصر .
- 2- فاقد البصر يستطيع الفهم بعكس فاقد السمع.
- 3- الأعمى يبلغ الرسالة و الأصم لا يعيها .
- 4- مدى السمع أقل من مدى الرؤية.
- 5- السمع يدل على القرب لأن الذي يسمعك يكون قريبا بخلاف الذي يراك فإنه قد يكون بعيدا .

ج- التقديم بحس الرتبة ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ (القلم : 1-12) ، وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ (التوبة : 35).

في القلم تبدأ بالهماز الذي يعيب الناس وهنا لا يفتقر إلى مشي و لا حركة ، ثم انتقل إلى مرتبة أبعد في الإبداء وهي المشي بالنميمة ، ثم انتقل إلى مرتبة أبعد في الإبداء وهو أنه لمنع الخير عن الآخرين ، ثم إلى المرتبة أبعد وهو الاعتداء ثم ختمها بـ (أثيم) وهو وصف جامع لأنواع الشرور.⁽²⁾

وفي التوبة تبدأ بالحياة في الجنوب ثم الظهور ، لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا و إذا ضمهم و إياه مجلس ، زوروا عنه بأركانهم وولوه ظهورهم فتدرج بحسب الرتبة .⁽³⁾

د- التقديم بحسب الكثرة و القلة ، فقد يرتب المذكورات متدرجات من القلة إلى الكثرة جسما يقتضيه المقام و ذلك نحو قوله تعالى : ﴿ أَنْ طَهَّرْنَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ

(1) - ينظر: المصدر نفسه ، ص ص 55- 56.

(2) - فهد خليل زايد ، الإعجاز العلمي و البلاغي في القرآن الكريم ، ص 124.

(3) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 57.

السُّجُودِ ﴿ البقرة : 125) ، فكل طائفة أقل من التي بعدها فتدرج من القلة إلى الكثرة ، فالطائفون أقل من العاكفون أقل من الراكعين لأن الركوع أي : الراكعون أقل من الساجدين ، ذلك لأن لكل ركعة سجدتين ثم إن كل راع لا بد أن يسجد وقد يكون سجود ليس له ركوع ، كسجود التلاوة ، وسجود الشكر فهنا تدرج من القلة إلى الكثرة. (1)

هـ- تقديم القتل على الموت ومثل ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (158) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (آل عمران : 107-108) فقدم القتل على الموت في الآية الأولى (في سبيل الله) وهو الجهاد قدم القتل إذ هو المناسب لأن الجهاد مظنة القتل ، ثم هو الأفضل أيضا ولذا ختمها بقوله (بمغفرة من الله ورحمة) ، وهذا جزاء الشهيد و من مات في سبيل الله ، وقدم الموت في الثانية على القتل لأنه الحالة الطبيعية في غير الجهاد ثم ختمها بقوله تعالى : (إلى الله تحشرون) إذا الميت و المقتول كلاهما ليحشره الله إليه ، وشتان بين الخاتمتين : خاتمة الشهيد ، وخاتمة الميت ولذلك قال في الآية الثانية (إلى الله تحشرون) فقط. (2)

و- ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ (الأنعام : 151).

و قوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ (الإسراء : 31) فقد تقدم ضمير المخاطبين على الأولاد في الأولى ، لأن الخطاب موجه للفقراء و الحديث عن ضمان رزقهم أولى من الحديث عن رزق أولادهم ، أما الثانية و الحديث عن الأغنياء الذين لا يخشون من الإملاق في يومهم ، ولكنهم يخشونه غدا على أولادهم ، فكان الضمير المقدم هو العائد على أولادهم الذين سيرزقهم الله و إياهم وهو هين عليه(3).

(1) - المصدر نفسه ، ص 57.

(2) - خالد الخالدي صلاح ، إعجاز القرآن البياني ومصدره الرباني ، ص ص 269 - 270.

(3) - شلتاغ عبود ، أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم ، ص 88.

2- الذكر و الحذف :

يعتبر الحذف و الذكر من أدق مسالك البلاغة و أساليبها ، وهو من أساليب البلاغة تحتاج إليه كلما كنا في غنا عن الكلمة وذلك لدقته و تداخل مسائله .⁽¹⁾

قال الجرجاني في الحذف و الذكر : « هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ عجيب الأمر ، شبهه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، و الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تتطرق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين».⁽²⁾

و التعبير القرآني يستخدم هذا بأسلوب بديع إذ بالحذف يزداد جمالا ، وهذا الحذف تراعي فيه أقوال و أوضاع المخاطبين ، وتظهر فيه معان نفسية كثيرة ، فمثلا قد يقال لشخص ما (لا تجلس معنا) ، فيقول : (مشغول) ، فكأن هذه اللفظة عبرت عن ضيق المقام ، و اختلاف المقام قد يقتضي أحد الأمرين الذكر أو الحذف .⁽³⁾

مميزات الحذف :

- 1- كمال المعنى مع المحذوف من جهة .
 - 2- حكم بيانية و أغراض بلاغية تفهم من هذا الحذف من جهة أخرى .
- فالحذف : هو الذي اقتصر عليه المتقدمون ، فذكروا أغراضه و مسوغاتها ومميزاته.

والذكر: قلم يعرض له إلا المتأخرون من علماء البلاغة ذلك لأن الذكر هو الأصل.⁽⁴⁾

(1) - عبد الله محمد الجبوسي ، التعبير القرآني و الدلالة النفسية ، ص 313.

(2) - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 146.

(3) - عبد الله محمد الجبوسي ، المصدر السابق ص ص 213 - 214.

(4) - فهد خليل زايد ، الإعجاز العلمي و البلاغي من القرآن الكريم ، ص 133.

أ- ما حذف و أصله أن يذكر:

«قد يحذف في التعبير القرآني لفظ أو أكثر حسبما يقتضيه السياق ، فقد يحذف حرفا أو بذكره أو يجتزئ بالحركة للدلالة على المحذوف ، كل ذلك لعرض بلاغي تلحظ فيه غاية الفن و الجمال».(1)

ومن ذاك قوله تعالى : ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (الكهف : 97).

حديث القرآن عن السد الذي بناه ذو القرنين للوقوف أمام هجمات يأجوج ومأجوج ، حيث بنى السد من قطع الحديد و النحاس المصهور ، لما شاهد يأجوج و مأجوج السد أمامهم حاولوا أن يتسلقون فلم يستطيعوا وحاولوا أينقضوه فلم يستطيعوا أيضا ، لقد كرر الفعل (استطاعوا) في الآية مرتين ، لكن التاء حذفت منه في المرة الأولى ، وذكرت فيه في المرة الثانية ، فالفعل في الجملة الأولى حذفت التاء لأن معنى الجملة عدم استطاعة يأجوج ومأجوج تسلق سد ذي القرنين ، وفي الجملة الثانية الفعل بالتاء و إثبات فيه ليتناسق ذلك مع المعنى ، لأن الجملة تنفي قدرة يأجوج ومأجوج على نقض ونقب السد.(2)

ومن ذلك قوله تعالى في سورة النحل : ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل : 127) .

وقوله في سورة النمل : ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النمل : 70).

فحذف النون في آية النحل و أبقاها في آية النمل في (تكن) « وذلك أن السياق مختلف في السورتين ، فالآية الأولى نزلت حين مثل المشركون بالمسلمون يوم أحد ، بقروا بطونهم وقطعوا من أكبرهم فوفق رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به فرآه مبقور البطن فقال: " أما و الذي أخلف به لئن أضفرتني الله بهم لأمتلن بسبعين مكانك" ، فنزل قوله تعالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (126) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (127) إِنَّ اللَّهَ

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 75.

(2) - خالد الخالدي صلاح ، إعجاز القرآن البياني ومصدره الرباني ، ص ص 243 - 245.

مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿126-128﴾ فكفر عن يمينه وكف عما أراده»⁽¹⁾.

فقد أوصاه ربنا بالصبر ثم نهاه أن يكون في ضيق من مكرهم ، فحذف النون من الفعل إشارة إلى ضرورة حذف الضيق من النفس ، وهذا التطبب مناسب لضخامة الأمر وبالغ الحزن ، فحقق الفعل بالحذف .

أما آيات سورة النمل فليس فيها هذا التصبير و المواساة ، و السياق فيها لا يدعو إلى كبير الصبر و الاحتمال ولذلك بقيت النون في الفعل على الأصل لأن الآيات في إنكار المشركين للبعث وهذا يناسبه نهى الرسول عن الحزن عليهم ، وعن الضيق من مكرهم.⁽²⁾

ب - ما ذكر في موطن ولم يذكر في موطن آخر يبدو شبها به :

«وليس عدم ذكره من باب الحذف ، وإنما هو قد يزيد لفظاً أو أكثر مراعاة لما يقتضيه السياق أو يستدعيه المقام ، فقد يزيد حرفاً في مكان ولا يذكره في مكان آخر حسبما يقتضيه موطن الكلام».⁽³⁾

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ (الأنعام : 46).

وقوله : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴾

(الأنعام : 47) .

قال في مرة (أرايتم) ومرة أخرى (أرايتمكم) بزيادة الكاف وهذه الزيادة إنما تكون لغرض توكيد الخطاب ، وذلك كأن يكون المخاطب غافلاً أو يكون الأمر يوجب زيادة التنبيه.⁽⁴⁾

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 77 .

(2) - خالد الخالدي صلاح ، إعجاز القرآن البياني ومصدره الرباني ، ص ص 246 - 247 .

(3) - فاضل صالح السامرائي ، المصدر السابق ، ص 97 .

(4) - المصدر نفسه ، ص 97 .

و الفرق بين الخطابين ههنا لسبين :

- 1- أنه قال في الآية الأولى (أرعبتم) فاحتاجوا بعد إل زيادة في تنبيه الخطاب وذلك أن فاقد السمع و البصر و المختوم على قلبه به حاجة إلى زيادة خطاب وتنبيه أكثر من السوي ، فقال فيما بعد (أرأيتمكم) .
- 2- أن الآية الثانية أشد من الآية الأولى تتكيلا وعذابا ، فإن فيها عذاب الله الذي هو أشد من أخذ السمع و البصر فيحتاج الموقف إلى تنبيه أكثر حذر وحيطة فجاء بكاف الخطاب. (1)

ومن ذل قوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (المائدة : 92) .

وقوله : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (التغابن : 12) .

فزاد في الآية الأولى قوله : (واحذروا) وقوله : (فاعلموا) مع إتحاد ما تضمنته الآيتان فيما سوى ذلك .

و سبب ذلك أن آية المائدة سبقها الأمر باجتناب الخمر و ما ذكر معها من المحرمات وما تجره عليهم هذه المحرمات من شرور فناسب ذلك ذكر هذه الزيادة لتأكيد التحذير .

و أما آية التغابن فلم يرد قبلها ما يستدعي هذا التأكيد من قوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التغابن : 11) .

فلما هنا نهى عن محرم متأكد التحريم ، لم يرد هنا من الزيادة المحرزة لمعنى التأكيد ما ورد هناك ، فجاء كل على ما يجب ويناسب وليس عكس الوارد مناسب. (2)

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 98 .

(2) - المصدر نفسه ، ص ص 109 - 110 .

3- التشابه و الاختلاف :

البيان القرآني دقيق دقة ملحوظة مقصودة في اختيار ألفاظه ، وهذه الحقيقة بيانية مسلمة ، ومما يتصل بها التشابه و الاختلاف في التعبير القرآني ، أو استعمال القرآن الألفاظ المختلفة في المواضع المتشابهة. (1)

في القرآن الكريم آيات وتعبيرات أخرى ، ولا تختلف عنها إلا في مواطن ضئيلة كأن يكون الاختلاف في حرف أو كلمة أو فغي نحو ذلك (2) ، وقد يكون الاختلاف في الموضوعين - من خلال التعبير في الآيتين - في كلمة ، حيث يختار كلمة بدل كلمة ، أو في حرف من حروف الكلمة .

وقد يظن الشرعيين أن التعبير في الموضوعين واحد ، و أن الكلمتين المذكورتين فيهما سواء في الدلالة على المعنى ، وقد يتساءل بعضهم : بما أنهما سواء في ذلك فلماذا عدل عن كلمة كذا إلى كلمة كذا ، إن هذا العدول مقصود في البيان القرآني ، وإن إختياره الكلمة الأولى في الآية الأولى و الكلمة الثانية في الآية الثانية ليحقق أعلى درجات البلاغة، ويؤدي المعنى على أتم صورة ، وهذا يقرر الإعجاز الباهر فيه .

البيان القرآني المعجز يختار الألفاظ اختياريًا دقيقًا ، ويضع كل لفظ في موضعه المناسب ، بحيث يلقي ظلاله ، ويؤدي معناه ، ولا يسد مسده لفظ آخر ، و إن (التشابه و الاختلاف) في ألفاظ الآية مع الآيات الأخرى المتشابهة إنما يقتضيه المقام ، حيث يختص كل موضع بما يناسبه من الألفاظ التي تقرر المعنى ، ويحقق البلاغة إلى الإعجاز. (3)

أسرار الإعجاز في التشابه و الاختلاف :

1- استعمال لفظ (مكة) و (بكة) لأم القرى.

جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (آل

عمران : 96).

(1) - خالد الخالدي صلاح، إعجاز القرآن البياني ومصدره الرباني ، ص 219.

(2) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 173.

(3) - خالد الخالدي صلاح، المرجع السابق، ص ص 219 - 220.

وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (الفتح : 24).

استعمل في الآية الأولى لفظة (بكة) بالباء في حين استعمل لفظة (مكة) الثانية بالميم وهو الاسم المشهور لأم القرى.

وسبب إيرادها بالباء في آل عمران أن الآيات في سياق الحج : « والله على الناس حج البيت » فجاء بالاسم بكة من لفظ (البك) الدال على الزحام لأنه في الحج يبك الناس بعضهم البعض أي : يزدحم بعضهم بعضا ، وسميت (بكة) لأنهم يزدحمون فيها .
وليس السياق كذلك في آية الفتح فجاء الاسم المشهور لها (مكة) فوضع كل لفظ في السياق الذي يقتضيه . (1)

2- ومن ذلك قوله : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الفتح : 4)

، وقوله : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (الفتح : 7).

فقد قال في الآية الأولى : (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) وقال في الآية الثانية (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) وسبب ذلك متصل بإنزال السكينة وازدياد المؤمنين إيماناً فقد قال قبلها : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الفتح : 4) فهذا موضع علم وحكمة فقال (عليماً حكيماً).

و أما الآية الثانية فهي في موضع عذاب و عقوبات فقد جاءت بعد قوله : ﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (الفتح : 6) ، فهذا موضع عزة و عليّة وحكم فقال (عزيراً حكيماً) (2).

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 174 .

(2) - المصدر نفسه ، ص 178

3- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (غافر : 7) .

وقال في الشورى : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الشورى :5) ، فقال في سورة غافر : (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) وقال في الشورى (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ) وذلك لأسباب عدة منها :

- أن آية غافر ذكرت جماعة مخصوصة من الملائكة وهم حملة العرش ومن حوله، وآية الشورى عموم الملائكة ، فناسب أن تستغفر خاصة الملائكة للخاصة من الناس وهم المؤمنون و أن تستغفر عامة الملائكة لعموم أهل الأرض.
- ثم لما ذكر في غافر صفة الإيمان في هؤلاء الملائكة فقال (ويؤمنون به) ناسب أن يذكر من اتصف بهذه الصفة من أهل الأرض.
- ثم إن قوله: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ يفيد التخصيص ولا يفيد العموم فناسب ذلك أن يخصوا المؤمنين بالذكر لا أن يذكروا عموم أهل الأرض ، و أغلبهم لا تنطبق عليه هذه الأوصاف.
- ثم إنهم لما سألوا ربهم أن يقيم عذاب الجحيم و أن يدخلهم جنات عدن ومعلوم أن ذلك لا يكون إلا للمؤمنين ، وناسب ذلك ذكر المؤمنين أما آية الشورى فلم يرد مثل ذلك ، بل ذكر فيها عموم الملائكة فناسب أن يذكر عموم أهل الأرض. (1)

4- السمة التعبيرية للسياق :

«قد تكون للسياق الذي فيه الآية سمة تعبيرية خاصة ، فتتردد فيه ألفاظ معينة بحسب تلك السمة.

وقد يكون لسورة كلا جو خاص و سمة خاصة فتطبع ألفاظها بتلك السمة» (2)

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني، ص ص 182 - 183 .

(2) - المصدر نفسه ، ص 237 .

1- تردد ألفاظ معينة :

فمن ذا قوله تعالى : ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ (النحل : 34).

وقوله : ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ (الجاثية : 33).

في حين قوله : ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ (الزمر : 48).

وقال : ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ (الزمر : 51).

فاختار لفظ (العمل) في النحل و الجاثية و لفظ (الكسب) في الزمر .

وسبب اختيار لفظ (العمل) في النحل و الجاثية هو وقوع الآيتين بين ألفاظ العمل ،

وسبب اختيار لفظ (الكسب) في الزمر هو وقوع الآيتين بين ألفاظ الكسب .

فقد جاء في النحل قوله تعالى : ﴿ كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءِ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(النحل : 28).

وجاء في الجاثية قوله : ﴿ اليوم تجزون ما كنتم تعملون ﴾ ، وقوله : ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم

تعملون ﴾ ، وقوله ﴿ فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات ﴾ في حين وقع لفظ (الكسب) في الزمر

بين ألفاظ الكسب ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (الزمر : 24) وقوله

: ﴿ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ (الزمر : 51) ، فخصت كل سورة بما اقتضاه سياقها .

هذا ما ناحية ومن ناحية أخرى أن سورة الزمر هي أكثر سورة تردد فيها لفظ

(الكسب) من بين هذه السور الثلاث ، فقد ترددت فيها هذه اللفظة خمس مرات في حين لم

ترد هذه اللفظة في سورة النحل البتة ، وأما في سورة الجاثية فقد وردت ثلاث مرات ،

فوضع كل لفظة في الموطن الذي يقتضيها. (1)

2- السورة كلها في جو خاص :

وقد تكون كثرة اللفظ وغلبته مطلقة في السورة كلها لا في السياق الذي تقع فيه

الآية.

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ (طه : 53).

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص ص 237 - 238.

وقوله : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ (الزخرف : 10).

« فقد ذكر (جعل) في الزخرف و (سلك) في طه ولعل من بين أسباب هذا الاختيار أن فعل الجعل ورد في الزخرف أكثر مما في طه ، فقد ورد في الزخرف اثني عشرة مرة وورد في طه ثلاث مرات ، فاختيار الجعل في الزخرف و السلوك في طه»⁽¹⁾.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْتَطِيعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (سبأ : 36) .

وقوله : ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْتَطِيعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ (سبأ : 39) .

في حين قال : ﴿اللَّهُ يَسْتَطِيعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ (العنكبوت : 62) .

«فاختيار كلمة (ربي) في سور سبأ ، وكلمة (الله) في العنكبوت ، وذلك أن لفظ (الرب) ورد في سبأ أكثر مما في العنكبوت ، ولفظ (الله) ورد في العنكبوت أكثر مما في سبأ ، فقد ورد لفظ (الرب) في سبأ أربع عشرة مرة ، وورد في العنكبوت خمس مرات وورد في العنكبوت اثنين و أربعين مرة ، في حين لم يرد في سبأ إلا ثماني مرات ، فأنظر هذا الاختيار العجيب في استعمال الكلمات»⁽²⁾.

ومن بديع ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

(الحج : 17).

وقوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (السجدة : 25).

« فقد وردت لفظة (الله) في سورة الحج خمسا وسبعين مرة في حين لم ترد هذه اللفظة في السجدة إلا مرة واحدة ، وقد وردت كلمة (رب) في السجدة عشرة مرات ، ووردت في سورة الحج ثماني مرات ، فوضع كل لفظة في السورة التي كثر استعمالها فيها»⁽³⁾.

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 241.

(2) -المصدر نفسه ، ص 243 .

(3) -المصدر نفسه ، ص 242 .

2-2- المنحى القصصي :

1- ماهية القصة القرآنية :

أ- مفهوم القصة :

- القصة لغة :

جاء في لسان العرب : « القص فعل القاص إذا قص القصص ، ويقال في رأسه قصة يعني جملة من الكلام، ونحوه قوله تعالى : " نحن نقص القصص عليك أحسن القصص" أي نبين لك أحسن البيان، والقاص الذي يأتي بالقصة من قصصها ... و القصة الخبر و هو القصص، وقص علي أخبر بقصة قضا وقصصا، وأورده والقصص بكسر القاف، جمع القصة التي تتب ... و القصص بالفتح : الاسم والقاص : الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتبع معانيها و ألفاظها»⁽¹⁾.

- القصة اصطلاحا :

القص في الاصطلاح العام فعل إنساني « يشمل حدثا واقعا أو خرافيا يجسد تعبيراً لفظياً أو كتابياً يعبر به الإنسان عن واقع حياته ، مخلداً بذلك حتمية تاريخية قد عاشها ، لها سلوكياتها وعاداتها ، معتمداً في ذلك على الإشارة الزمكانية التي لعب الدور الأهم في إظهار الحقبة التاريخية»⁽²⁾.

لقد نالت القصة القرآنية حظاً كبيراً من الاهتمام، نظراً للدراسات العديدة التي قام بها نقاد و باحثون عرب من أجل ضبط مفهومها واستخلاص منهجها ومعرفة كيفية بنائها ، وتعيين أغراضها و أهدافها.

فهي لا تتطبق كل الانطباق على مفهوم القصة « هي ليست خاطرة مرت في ذهن الله ، ولا هي بسط لعاصفة اختلجت في صدره فأراد أن يعبر عنها بكلام ليحدث أثراً في نفوس القارئ مثل أثرها في نفسه وليست القصة القرآنية لون من ألوان الأقصوصة أو

(1) - ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (قص) ، ج 5 .

(2) - سليمان عشراطي ، الخطاب القرآني ، مقارنة توصيفيه لجمالية السرد الإعجازي ، ديوان المطبوعات الجامعية ،

الجزائر ، ط 1 ، ص 65.

القصة بالمعنى المتواضع عليه ، كذلك فهي لا تحمل من العناصر الفنية ما حملها نقاد العصر الحديث»⁽¹⁾.

وقد اختلفت تعاريف القصة القرآنية عن المتخصصين في مجال دراسات علوم القرآن فمثلا نجد " شيخ أمين بكري" يعرفها على أنها: « ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه و طريقة عرضه ، وسير حوادثه ، كما هي الحال في القصص الفني إنما هي وسيلة من الوسائل الكثيرة التي استخدمتها لغرضه الأصيل وهو التشريع و بناء الفرد و المجتمع»⁽²⁾.

أما " سليمان عشراطي" فيقول :«و القصة في القرآن ، بوصفها واسطة بيانية تبليغية لناموس سموي ، غايته تجنيد العقيدة ...»⁽³⁾.

وعليه فإن القصة القرآنية هي وسيلة تحمل هدف وغاية ذات بعد ديني و وحي تأتي بلغة جمالية وفنية راقية تصور مشاهد و أحداث واقعية حدثت في فترة عابرة وتكون بطريقة عرض تفوق الطرق الحديثة ، ذات بناء فني متماسك و مرتبط.

ب- الخصائص الفنية للقصة القرآنية :

للقصة القرآنية خصائص فنية راقية ، فهي تجمع إلى سمو الهدف و صدق المضمون رقايا في البناء الفني ومن الخصائص الفنية التي تمتاز بها القصة القرآنية :⁽⁴⁾

1- تنوع طريقة العرض : القرآن لا يجري في أسلوبه على نمط واحد مخصوص في قصصه كلها ، بل تنتوع طرائقه تبعا لتنوع الأغراض ، وتتنوع الوسائل البيانية تبعا لتنوع الطرائق ، فبعض المشاهد يقوم على إستحضار الأحداث دون تداخل بالرواية و الإقتصار على التنبية على عنوان المشهد أو موضوعه ثم تظهر الأحداث بصورة

(1) - الشيخ الحسن سفيان ، المعجزة القرآنية ، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، ط2 ، ص 192.

(2) - بكري شيخ أمين ، التعبير الفني في القرآن الكريم ، دار الشروق ، ص 218.

(3) - سليمان عشراطي ، الخطاب القرآني ، ص 67.

(4) - فضل حسن عباس ، قصص القرآن الكريم ، دار النفائس ، الأردن ، ط3 ، 2010 م ، ص ص 47-49 ، وينظر: سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط17 ، 2004 م ، ص ص 180 - 189.

مباشرة ، وأكثر القصص القرآنية يعتمد الحكاية و الرواية و بذلك يسيطر على المواقف لينفي من الأحداث ما يحقق الهدف و ينسقها في إطار فني لا يخرجها عن الواقع ولا يترك المجال لكل ما وقع فيخرج بها عن هدفها المسوقة لأجله.

2- إقامة العرض على التصوير : أي أن القصة القرآنية تقيم العرض القصصي على

الأسلوب التصويري ، فالقرآن يتخير من ألوان التصوير لكل قصة ما يتناسب معها في موطنها ، فإن كان للأشخاص دور رئيس في تحريك الحدث القصصي رؤية يبرز من صفاتهم العقلية أو النفسية أو العاطفية أو الجسمية ما تتطلبه أدوارهم في القصة.

3- اختلاف موقع المفاجأة : القصة القرآنية لا تسير على نظام واحد في تقديم الحدث

المفاجئ الذي يسهم في النهاية و يحرك القصة إلى حل عقدها الرئيسية ، بل تراعي المكان و الزمان المناسبين لإظهار المفاجأة ، فالهيئة التي تقدم بها القصة في مجال العقيدة غير تلك التي تكون في مجال التطبيق العملي .

4- تنوع وسائل ربط المشاهد : من أبرز الخصائص الفنية للقصة القرآنية عدم

الاستقصاء في عرض مشاهد القصة ارتفاعا بها عن وهدة السرد المعتاد ، ففي القصة الواحدة تجد بعض المشاهد المتتابعة وبعضها فيه فجوة تترك لخيال القارئ ليملاها.

5- عدم التزام السرد القصصي : لا يلتزم في القصة القرآنية السرد القصصي دائما،

للوصل إلى الغاية من القصة ، ووفقا لذلك الالتزام نرى من القصص القرآنية ما تقدم كاملة الأحداث و المواقف في معرض واحد كما في قصة يوسف عليه السلام.¹

إن تقسيم " فضل عباس" لخصائص القصة القرآنية إلى جانبين الأول متعلق بالخصائص الذاتية و قد تم معالجته ، و الجانب الثاني متعلق بخصائص الفنية فهو منفرد عن غيره تلك الخصائص الذاتية التي نبه عليها و ذكرها و أوضحها⁽²⁾.

¹ - سليمان محمد علي الدقور ، اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني ، أطروحة دكتوراه ، جامعة اليرموك، 2005 م ، ص 63.

⁽²⁾ - سليمان محمد علي الدقور ، اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني ، ص 63.

ج- الخصائص الذاتية للقصة القرآنية :

- 1- مصدر القصة القرآنية هو مصدر القرآن الكريم نفسه فهي من وحي الله تعالى فهي ذات هدف ديني أخلاقي لا ينفصل عن أهداف العقيدة و الشريعة ، غير أنها تجمع إلى سمو الهدف رقي الشكل الفني .
- 2- المصدر الذي تستقي منه أحداث و شخصيات القصة القرآنية صور الكون و التاريخ ، غير أن القصة القرآنية حق لا زيف فيه ، ولا مدخل في أحداثها للخيال الفني ولا للخرافات و الأساطير التي ادعى بعض المستشرقين ، فالحقائق التي رد في القصة القرآنية عن الكون و عن طبائع النفس البشرية عموما هي كلها حقائق ثابتة علميا و تاريخيا.
- 3- موضوع القصة القرآنية هو الإنسان المستخلف في الأرض بما يدور حوله في الكون وما يحدث له وما ينبغي أن يكون عليه حاله وما ينبغي أن يعرفه من أمور العالم المنظور و الغيب غير المنظور و حقائق الدين و الإيمان و التوحيد و البعث ، فالإنسان هو قطب الرحي في القصة القرآنية مثلما هو قطب الرحي في الكون الذي استخلف فيه.
- 4- المتلقي الذي توجه له القصة القرآنية هو نفسه محورها وهو الإنسان الذي تساق له القصة القرآنية نورا لعقله و قلب و تهذيبا لمسلكه ومن ثم فقد سمت القصة القرآنية بالإنسان حي يمتاز عن الحيوان الذي يشترك معه في بعض الصفات ، هذا السمو الذي لا يركز على جانب واحد في هذا الإنسان ، فهو سمو رحي و نفسي يشعر به الفرد و بعد ذلك سمو اجتماعي تجد الجماعة فيه بغيتها و فضيلتها.
- 5- القصة القرآنية ليست عرضا مجردا لحقائق التاريخ بل هي انتقاء لجوانب من التاريخ إيجابية أو سلبية لتحقيق أهداف القصة المرجوة ، ولذا تجدها تركز على

الراقي المادي و أسباب القوة لأن هذه المادة عنصر أساسي في مقومات هذا الإنسان.

6- القصة القرآنية قصة هادفة و أهدافها لا تتفصل عن أهداف العقيدة والتشريع وهي تمزج بين الإقناع العملي و التأثير الوجداني لتحقيق التأثير المطلوب في نفس المتلقي وفي سلوكه . (1)

د - التكرار في عرض القصة في سور شتى :

يقصد بالتكرار هنا عرض القصة القرآنية في أكثر من مكان في أكثر من صورة وهذا لا يعد من التكرار المعيب هو أن تعاد القصة الواحدة في سور شتى في صورة واحدة.

يقول سيد قطب : « ويحسب أناس أن هنا تكرار في القصص القرآني ، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى ، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة قد تكررت في صورة واحدة ، من ناحية القدر الذي يساق ، وطريقة الأداء في السياق ، وأنه حيثما تكررت حلقة كان هناك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار » (2) .

ويقول فضل عباس : « و التكرار - كما نراه - هو إعادة اللفظ نفسه في سياق واحد ، وبمعنى واحد ، فإذا لم يتوافر هذان الشرطان ، أي إذا لم يكن المعاد اللفظ نفسه ، أو إذا ذكر اللفظ أكثر من مرة ولكن لكل موضع سياقه الخاص ومعناه الخاص ، فإن ذلك لا نسميه تكرار أبد » (3) .

ولقد فصل فضل عباس في كتابه القصص في القرآن الكريم هذا الموضوع ونقل آراء العلماء القدماء و المحدثين في موضوع التكرار ومن بين ما نقله فوائد تكرار القصة كما يراها " الزركشي " وهي باختصار :

(1) - فضل حسن عباس ، قصص القرآن الكريم ص ص 45-47.

(2) - سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ص 64 ، نقلا عن سليمان محمد علي الدقور ، اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني ، ص 72.

(3) - فضل حسن عباس، المرجع السابق ، ص 71 .

- 1- أنه إذا كرر القصة زاد فيها شيئاً مثل ما ذكره عن الحية في عصا موسى عليه السلام و ذكرها في موضع آخر ثعبانا ففائدته أن ليس كل حية ثعبانا و هذه عادة البلغاء.
- 2- أن الرجل إذا كان يسمع القرآن ويعود إلى أهله ، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأولين ، وكان أكثر من آمن به مهاجرا ، فلا ولا تكرر القصة لوقعت قصة موسى إلى قوم ، وقصة عيسى إلى آخرين ، وكذلك سائر القصص ، فأراد الله سبحانه وتعالى إشراك الجمع فيها فتكون الإفادة للقوم وزيادة الآخرين ، وهم الحاضرون.
- 3- تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم بما اتفق للأنبياء مع أمهم .
- 4- إبراز أن للكلام الواحدة في فنون كثيرة و أساليب مختلفة ، لا يخفى ما فيه من فصاحة.
- 5- أن الدواعي لا تتوفر على نقلها كتوافرها على نقل الأحكام ، فلذا كررت القصة دون الأحكام .
- 6- إن الله تبارك وتعالى أنزل هذا القرآن وعجز القوم عن الإتيان بمثل آية لصحة النبي (ص) ثم بين و أوضح الأمر في عجزهم.
- 7- لما سخر العرب بالقرآن عدد لهم مواضع للقصة دفعا لحجتهم من كل وجه .
- 8- أنه ألبسها زيادة و نقصا ، وتقديما و تأخيرا ، ليخرج بذلك الكلام أن تكون ألفاضه واحدة بأعيانها ، فيكون شيئاً معاد فترهه عن ذلك بهذه التغيرات. (1)

2- الحشد الفني :

درس فيه السامرائي الحشد الفني في السورة و الحشد الفني في الآيات و الحشد

الفني في القصص وقد بحث فيه ما يلي :

(1) - ينظر: فضل حسن عباس ، قصص القرآن الكريم ، ص ص 69 - 71.

أ - الحشد الفني في السورة :

يحث فيه السورة و الترابط فيما بين آياتها و علاقة منتهاها بمبتدائها ، « وبيان قسم من العلاقات الفنية التي يراعيها القرآن في السورة نفسها أو السور الأخرى»⁽¹⁾ وقد ناقش ذلك في عدد من سور القرآن ، فمن ذلك سورة الأنعام قال : « لقد افتتحت السورة بقوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام : 1) ، وقال في خاتمة السورة : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام : 164) ، فناسب بين البدء و الختام ، فقد ذكر أن الذين كفروا بربهم يعدلون ، أما هو فلا يعدل بربه شيئاً ، فأنظر هذه المناسبة و الملائمة في التعبير حتى كأن التعبيرين في البدا و الختام ، آية واحدة ... ومن ذلك سورة (ق) فقد بدأت بقوله تعالى : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ (ق : 1) و خيمت بقوله فذكر بالقرآن ﴿ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (ق : 45) و التناسب هاهنا أظهر من أن يشار إليه»⁽²⁾ .

وفي نهاية هذا المبحث يقول : «أن التناسب بين مفتتح السور وخواتمها ليس شيئاً عارضاً ، ولا موافقة عابرة ، و إنما سمة بارزة من سمات هذا الكتاب ، وأمر مقصود في هذا الكلام الرفيع»⁽³⁾ .

ب - الحشد الفني في الآيات :

وفيه وجه عدد من مواضع المتشابه اللفظي المتعدد المسائل إذ نجد ثلاث أو أربع أو خمس مسائل في الموضع الواحد ، فمن ذلك آيات :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ : 3).

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 252 .

(2) - المصدر نفسه ، ص ص 252 - 255 .

(3) - المصدر نفسه ، ص 255 .

(يونس :61) فقد وجه فيها خمس مسائل وهي :

سبأ	يونس
لا يعزب	وما يعزب
عنه	عن ربك
مثقال ذرة	من مثقال ذرة
في السماوات ولا في الأرض	في الأرض ولا في السماء
ولا أصغر من ذلك ولا أكبر (بالرفع)	ولا أصغر من ذلك ولا أكبر (بالنصب) (1)

ج- الحشد الفني في القصص القرآني :

كما نعلم أن من عادة القرآن توارد القصة الواحدة في مواطن عدة ، لكن هنا الورد ليس ورودا واحدا ، ولا تكرار للقصة ، بل إن كل ورود للقصة إنما هو ورود جديد ، حمل جانبا جديد من القصة ، لم يرد في غيره من المواطن ، ويحمل في طياته فائدة وعبرة جديدة لم تكن في غيره من المواطن ، ويؤكد السامرائي ذلك في قوله : « فأنت ترى أن القصة في القرآن كأنها تتكرر في أكثر من موطن ، والحقيقة أنها لا تتكرر ، ولكي يعرض في كل موطن جانبا منها بحسب ما يقتضيه السياق وما يراد من موطن العبرة و الاستشهاد» (2) ، وضرب مثلا بقصة سيدنا موسى قائلا : « إن قصة موسى مثلا فيها مواطن عبرة كثيرة ومواطن استشهاد متعددة منها : بيان أن قدر الله ماض لا محالة ، وأنه لا يستطيع أحد أن يغير أو يرحبه مهما حاول و اتخذ من أسباب وسائل ، ومنها بيان عاقبة الظلم و الظالمين ، ... ومنها بيان لفسية الشعوب المستضعفة المستدلة و السبل

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 257.

(2) - المصدر نفسه ، ص 283.

التي ينبغي أن تسلكها لنتحرر ، ومنها بيان أن الحق له السلطان الأعظم على النفوس إذا ما عرفته و آمنت به ، ... فذكر في كل موطن ما يقتضيه السياق منها»⁽¹⁾.

3- قصة سيدنا آدم :

- موازنة قصة سيدنا آدم في سورتي البقرة و الأعراف :

ووجه السامرائي في هذه الموازنة تسع مسائل عرض آيات البقرة جملة (الآيات 29-39) ثم عرض آيات الأعراف جملة (الآيات 10-27) حيث قال « أن هذه القصة - قصة سيدنا آدم - من أقدم حدث فيها حين أبلغ الرب ملائكته بقراره في أن يجعل في الأرض خليفة و ذلك قبل خلق آدم »⁽²⁾ ، ولقد ذكر هذه الأوليات في أول سورة في القرآن تذكر ولم يذكرها في موطن آخر وذاك له أكثر دلالة ، فنية وغير فنية ، وجاءت القصة مبنية على ركنين : تكريم آدم وتكريم العلم ويظهر فيما يلي :

1- تكريم آدم :

أ- تفضيل آدم على الملائكة بتعليمه الأسماء كلها .

ب- إسجاد الملائكة له .

ج- استخلاف آدم في الأرض ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ ﴾ (البقرة : 30).

2- أما العلم في هذه القصة تركز ذكره في ثلاث مجالات :

أ- إثبات العلم الشامل لله .

ب- نفي العلم عن الملائكة إلا ما علمهم إياه رب العزة .

ج- إثبات التعليم بما يصلح أن يقوم به أمر الخلافة و يستقيم⁽³⁾ .

ومن هنا يتبين أن القصة وقعت في سياقها أحسن موقع و أحمله أما القصة في

الأعراف وقعت في سياق العقوبات و إهلاك الأمم الظالمة من بني آدم وفي سياق غضب

الرب سبحانه ، وكانت المسائل كالتالي :

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص ص 283 - 284 .

(2) - المصدر نفسه ، ص 286 .

(3) - المصدر نفسه ، ص 287 .

1- ذكر معصية إبليس في البقرة بقوله: «أبى و استكبر وكان من الكافرين» ، و أما في الأعراف فقد قال «إلا إبليس لم يكن من الساجدين» ، و الفرق بين التعبيرين أنه في سورة البقرة دلالة على شناعة معصيته بحق آدم الذي كرمه ولم يجمع بين (أبى) و (استكبر) إلا في هذا الموطن ، فقد ذكرت كل عبارة حسب موقف التكريم.

2- قال في البقرة ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة : 35).

وقال في الأعراف ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف : 19).

- (وقلنا يا آدم أسكن) وهنا مقام التكريم و التعظيم وناسب التكريم و التعظيم أن يذكر (رغدا) في البقرة دون الأعراف لأن المقامين مختلفين.
- (وكلا منها) وفي الأعراف (فكلا) فجاء بالواو في البقرة و بالفاء في الأعراف ، والواو لمطلق الجمع و الفاء تفيد التعقيب و الترتيب.⁽¹⁾
- (حيث شئتما) في سورة البقرة و (من حيث شئتما) فالظرف في البقرة يحتمل أن يكون للسكن و الأكل جميعا و المعنى (أسكنا حيث شئتما وكلا حيث شئتما) أما التعبير في الأعراف فلا يحتمل إلا أن تكون للأكل ولا يصلح تعليقه للسكن ، « فالمشيئة و التخيير في البقرة واسع لأنها تشمل السكن و الأكل بخلاف الأعراف وهو المناسب لمقام التكريم في البقرة كما هو ظاهر»⁽²⁾.

3- قال في البقرة « فأزلهما الشيطان عنها» وفي الأعراف قال « فدلها بغيرور» «الأزال غير التدايه فإن الزلة قد تكون في الموضع نفسه ، وأما التدايه فلا

(1) - ينظر: فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص ص 289 - 291 .

(2) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 291.

تكون إلا إلى أسفل ، ذلك أنها من التدايه في البئر فإذا دلّيت أحدا فقد أنزلته إلى أسفل ، بخلاف الزلة فقد لا تكون إلى أسفل، ومعنى (دلّاهما) : أنزلهما من مكان إلى مكان أحط منه ، فحقق المعصية في البقرة وسماها زلة مراعاة التكریم بخلاف الأعراف»⁽¹⁾.

4- لم يذر في البقرة توبيخ آدم وزوجه على معصيتهما مراعاة لمقام التكریم بخلاف في سورة الأعراف فقد ذكر أنه عاتبهما فقال : ﴿ وَتَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (الأعراف : 22) .

5- في سورة الأعراف ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الأعراف : 23) ، طوي في البقرة تصريح آدم نفسه بالمعصية ولم يذكرها إكراما له في حين ذكرها في الأعراف وبعد هذا ندم آدم من ندم المعاقبين من بني آدم ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأُسْنَا بِيَاتَا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (4) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ (الأعراف : 4-5) ، وهنا إتفق الندمان على أمر واحد هو الظلم فقال آدم « ظلمنا أنفسنا » و قال أبناءه «إنا كنا ظالمين» فكانت الصيغة لآدم بالفعلية الدالة على الحدوث و أبناءه بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات على الظلم و الإضرار فتاب على الأولين و أهلك الآخرين.⁽²⁾

6- ذكر في البقرة أن آدم تلقى من ربه كلمات فتاب عليه « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه» ولم يذكر ذلك في الأعراف و إنا ذكر فيها أن آدم طلب من ربه المغفرة و الرحمة « قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » فمقام البقرة لم يذكر فيه أن آدم طلب من ربه المغفرة و ذكر أنه تاب عليه مع ذلك.

(1) - المصدر نفسه ، ص 291.

(2) - ينظر: المصدر نفسه ، ص 292.

ومقام الأعراف ذكر فيه أن آدم طلب المغفرة من ربه ولم يذكر أنه تاب عليه.

فسياق البقرة التكريم وسياق الأعراف مع مقام العتاب و المؤاخذة. (1)

7- قال في البقرة ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : 38) ، ولم يقل ذلك في الأعراف ، التكريم واضح في هذه الآية إذ فيها وعد لمن تبع الهدى بالعودة إلى الحثة، حيث لا خوف و لا حزن.

ثم قال (تبع) بالتخفيف ولم يقل (اتبع) بالتشديد كما فعل في سورة طه ، فقد قال تعالى فيها ﴿ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (طه : 123) ، فاكتفى في البقرة بالأخف من الحدث ولم يشدد عليهم تخفيفا على البشر مراعاة لمقام التكريم ، ومنها أن الفعل (تبع) تردد في سورة البقرة أكثر من أية بخلاف السور الأخرى في القرآن الكريم فوضعه في مكانه الذي هو أليف به. (2)

8- قال في سورة الأعراف : « فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين » ، وقال فيها أيضا : «فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها» ، وقال في خاتمة السورة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ (الأعراف : 206)، فناسب بين القصة و خاتمة السورة وذلك بنفي التكبر عن الملائكة و أثبت لهم السجود ، بخلاف إبليس الذي أثبت له التكبر ونفي عنه كسجود.

وقال تعالى في البقرة : «وكان من الكافرين» وقال في خاتمة السورة ﴿ فَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة : 286) فلام بين القصة وخاتمة السورة كما فعل في الأعراف. (3)

(1) - ينظر: فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني ، ص 292.

(2) - المصدر نفسه ، ص 293.

(3) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 294.

9- قال تعالى في الأعراف « فوسوس لهما الشيطان ليبيدي لهما ما وري عنهما من سوءتهما» وذكر أن الغرض من الوسوسة إبداء السوءات المخفية ، وقد وضع ذلك فعلا « فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما و طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة» بغية سترهما وعقب على ذلك بقوله «يبني آدم قد أزلنا عليكم لباس يوارى سوءتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك» وهذا التعقيب هو المناسب لظهور السوءات و انكشافها في الجنة ، ثم إن كلمة (لباس) مع التقوى مناسبة لما من السياق فالتقوى لباس يوارى السوءات الباطنة سمو اللباس و الريش يوارى السوءات الظاهرة. (1)

ووازن السامرائي قصة سيدنا آدم بين سورتي الأعراف و (ص) ، ووجه فيها خمس مسائل و عقد موازنة ثالثة لها بين سورتي الحجر و (ص) ووجه فيها ثماني مسائل.

4- قصة سيدنا موسى :

عقد السامرائي موازنة لقصة موسى عليه السلام في سورة البقرة مع قصته في سورة الأعراف ، ووجه فيها خمس عشر مسألة ، و موازنة أخرى للقصة ذاتها فيما بين سورتي الأعراف و الشعراء ووجه فيها اثنتي عشرة مسألة ، وهذا نموذج لطريقة تناوله التي وجهها:

- موازنة قصة سيدنا موسى في سورتي البقرة و الأعراف:

عرض السامرائي آيات البقرة جملة (الآيات 57 - 60) ثم عرض آيات الأعراف جملة (الآيات 159 - 162) ، ثم وجه فيها خمس عشر مسألة عارضا إياها جملة كما يلي : (2)

الأعراف	البقرة
وإذا قيل لهم	وإذا قلنا

(1) - المصدر نفسه ، ص 295.

(2) - المصدر نفسه، ص ص 311 - 312 .

أدخلوا	أسكنوا
فكلوا	وكلوا
رغد	--
و أدخلوا الباب سجدا و قولا حطة	وقولو حطة و أدخلوا الباب سجدا
نغفر لكم خطاياكم	نغفر لكم خطيئاتكم
و سنزيد	سنزيد
الذين ظلم	الذين ظلموا منهم
فأنزلنا	فأرسلنا
على الذين ظلموا	عليهم
يفسقون	يظلمون
و إذا استسقى موسى قومه	و إذ استسقاها قومه
فقلنا اضرب	و أوحينا إلى موسى أن اضرب
فانفجرت	فانبجست
كلوا و أشربوا من رزق الله	--

«إن سر الاختلاف يتضح من الإطلاع على سياق الآيات في السورتين ، فسياق هذه الآيات في سورة البقرة هو تعدد النعم التي أنعمها الله على بني إسرائيل ، ويبدأ معهم بقوله ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة : 47) ، ثم يسرد النعم عليه ويذره بها ، أما سورة الأعراف فالمقام تقرير و تأنيب فإن بني إسرائيل قوم لا يتعظون ... فالفرق واضح بين السياقين فناسب بين كل تعبير و المقام الذي ورد فيه»⁽¹⁾.

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص ص 311 - 312 .

قال الله تعالى في البقرة (و إذا قلنا) فأسند الرب القول إلى نفسه وقال في الأعراف : « و إذا قيل لهم» بناء الفعل للمجهول ، و القرآن الكريم يسند الفعل لله سبحانه في مقام التشريف و تنزيها له عن فعل الشر و إرادة السوء.

وقال في سورة البقرة « أدخلوا هذه القرية فكلوا» ، أي أن الأكل يكون عقب الدخول ، لأن الفاء تفيد التعقيب ، أي بمجرد دخولكم تأكلون توا ، و أما في سورة الأعراف فقال «أسكنوا هذه القرية واكلوا» فالأكل هنا لا يكون إلا بعد السكن و الاستقرار وليس بعد الدخول ، والفرق أن من الأولى يعد الدخول و في الثانية مع السكن ، فهي البقرة الأكل وقع عقب الدخول و في الأعراف مع السكن و الاستقرار ولم يحدد لهم الوقت، و الدخول غير السكن لأن السكن لا يكون إلا بعد الدخول ، فجعل الطعام في البقرة مهيناً قبل السكن و الاستقرار (رغدا) ، وفي الأعراف مع السكن بلا تعقيب ، فقد يطول الزمن وقد يقصر ، فكان الموقف في البقرة أكرم و أفضل.⁽¹⁾

وقال في سورة البقرة (رغدا) لأنه مناسب لتعدد النعم ولم يقل (رغدا) في سورة الأعراف لأن المقام تقرير و تأنيب و أنهم لا يستحقون رغد العيش.

وقدم السجود في سورة البقرة (وادخلوا الباب سجدا وقولا حطة) سببين وهما :

«1- لأن السجود أشرف من القول لأنه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فناسب المقام.

2 - لأن السياق يقتضي ذلك فقد جاءت هذه القصة في عقب الأمر بالصلاة»⁽²⁾ ،

فناسب هنا تقدم السجود لاتصاله بالصلاة و الركوع وكلا الأمرين مرفوع في

سورة الأعراف فأخر السجود.

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص ص 313 - 319 .

(2) - المصدر نفسه ، ص 319.

وقال في سورة البقرة (يغفر لكم خطاياكم) يجمع الكثرة لأن الخطايا جمع كثرة وهو مناسب لمقام تعدد النعم و التكريم ، وقال في سورة الأعراف (خطيئاتكم) يجمع القلة لأن الجمع السالم يفيد قلة أي يغفر لهم خطيئات قليلة وهو مناسب لمقام التقرير و التائب .
وقال في سورة البقرة (وسنزيد) فجاء بالواو الدالة على الاهتمام و التنويع ولم يحبي بها في سورة الأعراف و السبب واضح .

قال في سورة البقرة (الذين ظلموا) وفي سورة الأعراف (الذين ظلموا منهم) أي ليسوا جميعا على هذه الشاكلة من سوء فناسب هذا التبويض.⁽¹⁾
«إن في ذكر (منهم) تصريحاً بأن الظالمين كانوا من بني إسرائيل ، ولم يذكر في البقرة (منهم) فلم يصرح بأنهم منهم تكريماً لهم ، وكل تعبير مناسب للسياق الذي ورد فيه»⁽²⁾ .

وقال في سورة البقرة (فأنزلنا) وفي سورة الأعراف (فأرسلنا) ذلك لأن الإرسال أشد في العقوبة من الإنزال ، وكل مناسب موطنه .
وقال في سورة البقرة (على الذين ظلموا) وفي سورة الأعراف (عليهم) وهو أعم من الأول أي أن العقوبة أعم و أشمل وهو المناسب لمقام التقرير .
وقال في سورة البقرة (يفسقون) وقال في سورة الأعراف (يظلمون) لأن الظلم أشد من الفسق ، وهو المناسب لـ (إرسال) العذاب فذكر في كل سياق ما يناسبه .
وقال في سورة البقرة (و إذا استسقى موسى لقومه) ، فموسى هنا هو الذي استسقى ربه لقومه .

وقال في سورة الأعراف (إذا استسقاء قومه) أي أن قوم موسى استسقوا موسى و الحالة الأولى أكمل و أبلغ في النعمة .

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 320 .

(2) - المصدر نفسه ، ص 321 .

وقال في سورة البقرة (فقلنا اضرب) وقال في سورة الأعراف (أن اضرب) فإن القول المباشر من الله أكمل و أشرف من الإيحاء (و أوحينا إلى موسى).
وقال في سورة البقرة (فانفجرت) وفي سورة الأعراف (فانبجست) « وثمة فرق بين الانفجار و الانبجاس ، فانفجار للماء الكثير و الانبجاس للماء القليل وكل تعبير يناسب موطنه فإنه المقام في سورة البقرة مقام تعداد النعم ... بخلاف ما ورد في سورة الأعراف فجاء بالانبجاس» (1) .

ومن مقام التكريم في البقرة أنه جمع لهم بين الأكل و الشرب ﴿ كَلُوا وَشَرُّوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ﴾ ولم يقل ذلك في الأعراف بل قال ﴿ كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (الأعراف : 160) ومقام التكريم واضح بين (2) و هذه الموازنات لها نظر في كتاب (لمسات بيانية) للسامرائي ، إذ وزن السامرائي بين قصة موسى في سورتي النمل و القصص (3) .

(1) - فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 322.

(2) - المصدر نفسه ، ص ص 321 - 323.

(3) - فاضل صالح السامرائي ، لمسات بيانية في نصوص التنزيل ، دار عمار ، ط3 ، 2003 م ، ص ص 90-113.

خائمه

خاتمة :

و في ختام هذا البحث نرصد بعض النتائج و الأهداف التي عكف البحث من مقدمته إلى خاتمته سعيا إليها و هي ملخصة فيما يلي :

1. الإعجاز اللغوي متفق عليه و أجمع عليه العلماء ، وهو الأصل الذي يتبادر للأذهان، متى أطلق فالمراد منه الإعجاز اللغوي ، و هو موجود في كل سور القرآن الكريم ، خلافا للأنواع الأخرى فالإعجاز جزئي .
2. تبرز أهمية الإعجاز اللغوي في جوانب محددة و من أهمها قيام الحجة القاطعة على أن القرآن الكريم ، هو كلام الله .
3. ومن خصائص الأسلوب القرآني معانيه المصوغة بحيث يصلح أن يخاطب بها الناس كلهم على اختلاف مداركهم و ثقافتهم .
4. تجنب السامرائي استعمال مصطلح الإعجاز تواضعا منه و تعظيما للقرآن الكريم معتبرا كتابه خطوة في طريق قد يوصل السالك إلى طريق الإعجاز .
5. مركزية علوم اللغة العربية لديه فهي المفتاح الثابت أكثر من غيره ، به يستعين في فتح مغاليق التعبير القرآني ، وبه يعلله ، و علتة مدار الإقناع لديه .
6. عمل السامرائي بإقامة الحجة على إعجاز القرآن الكريم عن طريق الاستدلال بآيات القرآنية وتحليلها تحليلًا بلاغيًا عاليًا .
7. عنايته بالتحليل الجمالي والتذوق البلاغي من خلال التصدي للكتابة في تفسير القرآن معتمدا فيها على المباحث اللغوية.
8. الوقوف على مظاهر الإعجاز ابتداء من تذوق دلالات الحرف الواحد مرورا بالكلمة المفردة، ثم الجملة، ثم عدة جمل .

9. جل عمل السامرائي في كتابة التعبير القرآني كان إظهار الارتباط الوثيق بين القرآن الكريم واللغة نحواً وبلاغةً من حيث فهم معانيه - القرآن الكريم - ومقاصده .

10. الألفاظ القرآنية لها دلالتها في سياق الجملة فلا يمكن أن يترادف لفظ ولفظ آخر فيتساوى معه في المعنى تمام المساواة ، بل إن الكلمة ذاتها تتكرر في أكثر من سياق لتدل على معنى مغاير في كل سياق، وهذا ما وجدناه في موازنات القصة القرآنية .

11. هناك تكرار من نوع آخر و هو تكرار بعض القصص القرآني ؛ و لكنه تكرار يؤدي معاني خاصة حيث تبدأ القصص المكررة بإشارة مقتضبة ، ثم تطول هذه الإشارة شيئاً فشيئاً ، ثم تعرض في حلقات كبيرة .

12. أنه بالرغم من كثرة ما كتب في القرآن الكريم من مؤلفات و أبحاث ، لا تزال مواضيع كثيرة تحتاج إلى بحث ، لاسيما في خطابات القرآن و بلاغته .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الملحق

فاضل صالح السامرائي

نسبه ونشأته

هو فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدي من عشيرة (البدي)، إحدى عشائر سامراء، ويكنى بـ (أبي محمد) ومحمد ولده الكبير، ولد عام 1933 بسامراء في عائلة متوسطة الحالة الاقتصادية، كبيرة في الحالة الاجتماعية والدينية، أخذه والده منذ نعومة أظفاره إلى مسجد باشا، أحد مساجد سامراء لتعلم القرآن الكريم، وكشف ذلك عن حدة ذكاءه، حيث تعلم القرآن الكريم في مدة وجيزة.¹

حياته العلمية:

- دخل السامرائي المدرسة الابتدائية وأكملها عام 1946م.
- أكمل المرحلة المتوسطة عام 1950م.
- انتقل إلى المرحلة الإعدادية في ثانوية جمعية معلمين المسائية، وهي مدرسة أهلية، لأنه لم تكن آنذاك في سامراء مدرسة رسمية، وأكمل الدراسة عام 1952م.
- دخل دورة تربوية لإعداد المعلمين في بغداد عام 1953م.
- كان التفوق مرافقا له في حياته الدراسية، وفي نفس العام عين معلما في إحدى المدارس الابتدائية قرب سامراء.
- في عام 1957م دخل دار المعلمين العالية (كلية التربية) ليكمل دراسته بقسم اللغة العربية عام 1960/1961م حائزا على درجة البكالوريوس بتقدير امتياز.
- عاد مدرسا في المدارس الثانوية.
- أكمل دراسته في الماجستير في أول دورة فتحت للدراسات العليا في العراق بكلية الآداب بجامعة بغداد عام 1965م.

¹ محمد رجائي أحمد الجبالي، توجيه التشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين - أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي، رسالة دكتوراه، جامعة ملايا، كوالالامبور، 2012م، ص 2-44.

الملحق

- وفي نفس السنة عين معيد في قسم اللغة العربية التربية جامعة بغداد.
- وفي عام 1968م حاز شهادة الدكتوراه من جامعة عين شمس في جمهورية مصر العربية من كلية التربية قسم اللغة العربية.¹
- عين أستاذا في جامعة بغداد بعد دمج كلية التربية بكلية الآداب.
- ثم عين عميد لكلية الدراسات الإسلامية المسائية في السبعينات إلى حين تم إلغاء الكليات الأهلية في العراق.
- أغير إلى جامعة الكويت للتدريس في قسم اللغة العربية عام 1979م.
- عين خبيرا في لجنة الأصول في المجمع العلمي العراقي عام 1983م.
- كما عين عضوا عاملا في المجمع العلمي العراقي في عام 1996م.
- رحل إلى الخليج ليعمل في جامعة عجمان التي أمضى فيها سنة.
- انتقل إلى جامعة الشارقة كأستاذ لمادة النحو والتفسير للقرآن 1999-2004م.
- عاد للعراق للعمل مرة أخرى في جامعة بغداد 2004م.²
- بدأ برنامجه الشهير [المسات بيانية] في قناة الشارقة 2007/02/11 واستمر حتى أوائل 2010م، إذ عاد الدكتور إلى العراق.
- بالإضافة لكونه الدكتور فاضل نحويا فذا، وعالما جليلا، فهو شاعر، لكنه لا يحب أن يعرف عنه أنه شاعر، ومن القصائد التي كتبها عن معاناته في الغربية:
أيها القاعد في الصوب البعيد*** ينشد الراحة والعيش الرغيد
لا ينال القاعد العمر المديد*** جاء هذا القول من رب النبي
أيها القاعد والأرض تميد*** هل تظن الراحة الرأي السديد؟

¹ مضفر عبد رومي الظاهري، آراء الدكتور فاضل السامرائي في كتابه معاني النحو، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، العراق، 2005م، ص 8.

² ينظر: محمد رجائي أحمد الجبالي، توجيه التشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى، ص 44.

أنت لا تأوي إلى ركن رشيد***إنما ذلك إلى رب النبي¹

عرف الدكتور فاضل السامرائي بطيب الأخلاق والعفة والإخلاص، وصاحب عقيدة صافية ملتزمة بحدود الإسلام وفرائضه، وكان ما يزال أميناً دقيقاً، مما يدل على عمق ثقافته وسعة اطلاعه ومعرفته، إنه ذو عقلية قياسية لا جماعة، ولم يكن مقلداً في أبحاثه بل كان أصيلاً في نهجه معتمداً عقله وعلميته في فهم النصوص لا سيما القرآنية مما يدل على اعتداده لنفسه وثقته برأيه.

وقد تجلّى ذلك واضحاً لتفحص مؤلفاته وآثاره من جهة، وممارسته جانب التدريس من جهة أخرى، إذ درس النحو والصرف في مرحلة البكالوريوس، ودرس القضايا النحوية والتعبير القرآني في الدراسات العليا.

أشرف على الكثير من الرسائل الجامعية مناقشاً وموجهاً، ملئت بها سجلات قسم اللغة العربية في الجامعات العراقية.

تتلمذ السامرائي على يد الشيخ قدوري العباسي، إذ تعلم القرآن الكريم، والأستاذ الدكتور مصطفى جواد، والأستاذ أحمد عبد الستار الجواري، والأستاذ الدكتور محمود غنادي، والأستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي، والأستاذ الدكتور عبد الرزاق محي الدين، والأستاذ سليم النعيمي وغيرهم.

وتتلمذ على يده تلاميذ كثيرون، وبخاصة من نالوا شهادات عليا (الماجستير والدكتوراه)²

كتبه:

خلف كتباً وبحوثاً ومقالات في الدراسات القرآنية والعقيدة وكتب الشخصيات:

1. قسم اللغة العربية:

¹ https://ar.wikipedia.org/wiki/فاضل_السامرائي

² ينظر: مضفر عبد رومي، آراء الدكتور فاضل السامرائي في كتابه معاني النحو، ص 9.

- أ- معاني الأبنية العربية.
ب- معاني النحو (أربعة أجزاء).
ج- الجملة العربية تأليفها وأقسامها.
د- الجملة العربية والمعنى.
ه- تحقيقات نحوية.
2. قسم الدراسات القرآنية:
أ- التعبير القرآني.
ب- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل.
ج- بلاغة الكلمات في القرآن الكريم.
د- على طريق التفسير البياني (ثلاثة أجزاء).
ه- أسئلة بيانية في القرآن الكريم.
و- من أسرار البيان القرآني.
3. في العقيدة وغيرها:
أ- نداء الروح في الإيمان بالله واليوم الآخر.
ب- نبوة محمد من الشك إلى اليقين.¹
4. كتب الشخصيات:
أ- ابن جنى النحوي (رسالة ماجستير).
ب- الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري (رسالة دكتوراه).
ج- أبو البركات الأنباري ودراساته النحوية.²

¹ محمد رجائي، توجيه المشترك اللفظي في القرآن الكريم، ص ص 51-52.

² ينظر: مضر عبد رومي، آراء الدكتور فاضل السامرائي في كتابه معاني النحو، ص 10.

فائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص

1. بكري شيخ أمين ، التعبير الفني في القرآن الكريم ، دار الشروق ، (د.ت).
2. البلقاني، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، (د.ت).
3. الجمل عبد الرحمان يوسف ، منهج القاسمي في تفسير محاسن التأويل، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الأول، (د.ت).
4. الحسن سفيان ، المعجزة القرآنية ، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، ط2، (د.ت).
5. حسن ضياء الدين عنتر، المعجزة الخالدة، دار البشائر الإسلامية، لبنان، ط3، 1994م.
6. حكمت الحريري، مظاهر الإعجاز البياني وخصائصه، مجلة البينة، مارس 2004م.
7. خالد الخالدي صلاح ، إعجاز القرآن البياني و مصدره الرباني ، دار عمان ، ط1 ، 2000 م.
8. الخليل أبو أحمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، بغداد، 1974م.
9. الرازي أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م.
10. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د.ت).
11. رضوان الأطرش، دراسة مقارنة لمسلكي النظام والجاحظ في مسألة الصرفة، مجلة جامعة الخليل للبحوث، العدد 1، 2010م.
12. الرماني والخطاب وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في الإعجاز، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمود زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، (د.ت).
13. سليمان عشراطي ، الخطاب القرآني ، مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط1، (د.ت).

14. سليمان محمد علي الدقور ، إتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني ، أطروحة دكتوراه ، جامعة اليرموك، 2005 م.
15. سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط17 ، 2004 م.
16. السيوطي، مختصر الإتقان في علوم القرآن، تح: صلاح الدين ارقدان، دار النفائس، بيروت، ط1، 1985م.
17. الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
18. شلتاغ عبود ، أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ط1 ، 2003 م.
19. صديق أحمد مالك، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإنسانية، العدد الثالث والعشرون، 2011 م.
20. عبد الجليل عبد الرحيم ، لغة القرآن الكريم ، مكتبة الرسالة الحديثة ، ط1 ، 1981م.
21. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمد شاكر محمود، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004م.
22. عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، دار الفكر العربي، ط1، 1974 م.
23. عبدالرؤوف المناوي،، التوفيق على مهمات التعاريف، تح: عبد الحميد صالح حمدان عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1990م.
24. عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1996م.
25. ابن عطية ، المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط1، 2001م.

26. العيد حديق، جهود أهل السنة والجماعة في الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص اللغة والدراسات القرآنية، 2011م.
27. ابن فارس أحمد ، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، (دت).
28. فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، دار عمار ، عمان ، ط4 ، 2006م.
29. فاضل صالح السامرائي ، لمسات بيانية في نصوص التنزيل ، دار عمار ، ط3 ، 2003م.
30. فاضل صالح السامرائي ، معاني البنية في العربية ، دار عمار ، ط2 ، 2007م.
31. فضل حسن عباس ، قصص القرآن الكريم ، دار النفائس ، الأردن ، ط3 ، 2010م.
32. فضل حسن عباس، إعجاز القرآن المجيد، مراجعة و تعليق، سناء فضل عباس، دار الفرقان، الأردن، 1991م.
33. فهد خليل زايد ، الإعجاز العلمي و البلاغي في القرآن الكريم ، دار النفائس ، الأردن ، ط1 ، 2008م.
34. القاسمي، محاسن التأويل، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب، ط1، 1957م.
35. الكفوي أبو بقاء أيوب بن موسى ، الكليات، تح: عدلان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998م.
36. كمال الدين مرسي وأحمد المصري ،دراسات في المجاز القرآني، دار الوفاء الإسكندرية، ط1، (دت).
37. الكواكبي عبد الرجمان ، طبائع الاستبداد، تقديم أسعد السحمراني، دار النفائس، لبنان، ط3، 2006م.
38. الكواكبي، أم القرى، المطبعة المصرية بالأزهر، 1931م.

39. محمد أشرف الدين، تاريخ علوم القرآن ، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1406هـ.
40. محمد خان، القرآن ونظريات الإعجاز، حوليات المخبر، ديسمبر 2013م.
41. محمد رجائي أحمد الجبالي، توجيه التشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين -أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي، رسالة دكتوراه، جامعة ملايا، كوالالامبور، 2012م.
42. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المنار ،ط2، 1947 م.
43. محمد عبد العزيز الحواجي، إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية مع المقارنة مع كتاب إعجاز القرآن للبقلائي مكتبة المنهاج، الرياض، ط1، 1427هـ.
44. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علم القرآن، تح: فواز أحمد رمزي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط1، 1995م.
45. محمد عبده، الأعمال الكاملة، تح: محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، ط1، 1993م.
46. محمد عبده، رسالة التوحيد، تح: محمد عمارة، دار الشروق بيروت، ط1، 1994م.
47. محمود السيد شيخوان، الإعجاز لنظم القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1978م.
48. محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1998م.
49. مسعود الطوير، جهود العلماء العرب واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز القرآني، دار قتيبية، دمشق، ط1، 2001م.
50. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005 م.
51. مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم، الرياض، ط2، 1996 م.

قائمة المصادر والمراجع

52. مضفر عبد رومي الظاهري، آراء الدكتور فاضل السامرائي في كتابه معاني النحو، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، العراق، 2005م.
53. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، مصر، ط11، 2000م.
54. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
55. منير محمود المسيري، دلالات التقديم و التأخير في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2005م.
56. المؤتمر العالمي في القرآن وعلومه، جهود العلماء في بيان الإعجاز، 14-15-16 أبريل 2011، مدينة فاس، المملكة المغربية.
57. ناصر بن عبد الرحمان بن ناصر الخفيض، النظم القرآني في آيات الجهاد، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 1996م.
58. ابن النقيب، مقدمة تفسير بن النقيب في البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، تح: زكريا السعيد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت).

فهرس

الموضوعات

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	مقدمة
52-5	الفصل الأول : الإعجاز اللغوي في درس اللغوي العربي
21-5	1-1- ماهية الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم
5	تمهيد في مصطلح (المعجزة).
6	1- تعريف الإعجاز
8	2- حقيقة الإعجاز وعناصره.
11	3- أشهر مسائل الإعجاز.
15	4- مصطلح الإعجاز اللغوي ومظاهره في نظم القرآن الكريم
33-21	1-2- الإعجاز عند القدماء
21	1- النظام (ت: 213 هـ)
22	2- الجاحظ (ت: 255هـ)
23	3- الرماني (ت: 386هـ)
25	4- الخطابي (ت: 388هـ)
27	5- الباقلائي (ت: 403هـ)
28	6- القاضي عبد الجبار (ت: 415هـ)
30	7- عبد القاهر الجرجاني (ت: 471 هـ)
31	8- الزمخشري (ت: 538 هـ)
32	9- القاضي عياض (ت: 544هـ)
52-34	1-3- الإعجاز عند المحدثين

فهرس المحتويات

34	1- الكواكبي في (طبائع الاستبداد) و(سجل جمعية أم القرى)
35	2- محمد عبده (رسالة التوحيد)
37	3- القاسمي وتفسيره (محاسن التأويل)
38	4- الشيخ محمد رشيد رضا في (تفسير المنار)
40	5- مصطفى صادق الرافعي في (إعجاز القرآن و البلاغة النبوية)
43	6 - محمد عبد الله دراز في (النبأ العظيم)
45	7- سيد قطب في(التصوير الفني في القرآن) و(مشاهد القيامة في القرآن)و(في ظلال القرآن)
47	8- عائشة عبد الرحمن في (الإعجاز البياني ووسائل ابن الأزرق)
49	9- محمد سعيد رمضان البوطي في (من روائع القرآن)
95-53	الفصل الثاني: مظاهر الإعجاز اللغوي عند فاضل صالح السامرائي
53	كتاب التعبير القرآني
66-55	2 - 1 المنحى النحوي
55	1 - استعمال الفعل والاسم
59	2 - تقديم اللفظ على عامله
62	3 - ألفاظ القرآن بين التوكيد وعدمه
78-67	2 - 2 المنحى البلاغي
67	1 - تقديم وتأخير اللفظ على غير العامل
70	2 - الذكر والحذف
71	أ - ما حذف وأصله أن يذكر
72	ب - ما ذكر في موطن ولم يذكر في موطن آخر شبيها به
73	3 - التشابه والاختلاف

فهرس المحتويات

76	4 - السمة التعبيرية للسياق
76	أ - تردد ألفاظ معينة
77	ب - السورة كلها في جو خاص
95-79	2 - 3 المنحى القصصي
84-79	1 - ماهية القصة القرآنية
79	أ - مفهوم القصة
80	ب - الخصائص الذاتية للقصة القرآنية
82	ج - الخصائص الفنية للقصة القرآنية
83	د - التكرار في عرض القصة في سور شتى
87-85	2 - الحشد الفني
85	أ - الحشد الفني في السورة
85	ب - الحشد الفني في الآيات
86	ج - الحشد الفني في القصص القرآني
87	3- قصة سيدنا آدم
91	4 - قصة سيدنا موسى
96	- خاتمة
98	- الملحق
102	- قائمة المصادر والمراجع
108	- فهرس الموضوعات
-	- ملخص الرسالة باللغة الإنكليزية

ملخص البحث:

تتناول هذه الدراسة مظاهر الإعجاز اللغوي في التعبير القرآني، على يد واحد من أبرز العلماء والباحثين المتخصصين في أفاقها الرحبة فاضل صالح السامرائي، بتبيين أثار وعمق مقاصد التنزيل الحكيم، حيث ترقى المدارك إلى آفاق البيان المعجز، بفقته أدوات الصياغة في المنحى النحوي، والبلاغي، والقصصي، ففتجلى أمام لا حدود لها من جلال الإعجاز، وعمق المعاني وبعد الإيحاءات، وسمو الغايات، وهذا ما يدعم الارتباط الوثيق بين المقام والمقال، مما يجعلها نسيجا واحدا.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز اللغوي - التعبير القرآني - لغة القرآن .

Abstract:

This paper deals with the manifestations of linguistic miracles within the Quranic expression, which was discussed by Fadhil Saleh Al-Samarrai, an important prominent scholar and a researcher who specialized in this field. In his work he intended to show us the precise meanings in the Holy Quran, exhibiting miraculous eloquence using the tools of linguistic analysis through grammar, rhetoric, and Quranic storytelling, which all reveals the unlimited miracles, the depth of meanings and the dimension of the significance and the highness of the goals. This boosts the correlation between the context and the article, making the Quranic text integrated and complete.

Keywords: *Miracles of language - Quranic expression - Language of the Quran.*